محمود محمد طه

يدعو إلى

شريعة الأحوال الشخصية

الطبعة الثالثة
١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م

فهرست

رقم الصفحة

الاهداء

الى أكبر مـــن اســتضعف فى الأرض ،

ولا يـــزال ٠٠

الى النســـاء ٠٠

ثم الى ســـواد الرجـــال ،

والى الأطفـــال ٠٠

بشراكم اليوم !! فان موعــود الله قد اظلكم ٠

« ونريد أن نمن على الذين استضـــعفوا فى الأرض ، ونجعلهم أئمـــة ، ونجعلهم الوارثين » ٠٠

بســــم الله الرحمـــــن الرحيـــم

« من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد »
صدق الله العظيم

مقـدمة الطبعة الثـانية

هذه مقدمة الطبعة الثانية من كتاب « تطوير شريعة الاحوال الشخصية »، وكانت الطبعة الاولى منه قـد صدرت فى شهر ذى القعدة من عام ١٣٩١ ــ ديسمبر من عام ١٩٧١ ... ولقد لقيت اقبالا كبيرا من القــراء الكرام ، ممــا شجع على اعادة طبعه ..

صدرنا هذه الطبعة بالآية الكريمة : « من عمل صالحا فلنفسه ، ومن اساء فعليها ؛ وما ربك بظلام للعبيد » .. ذلك بانها آية تقــرر مبدأ المسئولية .. والمسئولية هى الخط الفاصل بين القاصر والرشيد .. فالقاصر حظه منقوص ، والرشيد حقه كامل ــ القاصر عليه وصى ، والرشــيد وصى نفسه تحت ظــل القانون .. وليس فى شريعة الله ظلم ، فما هو الا العدل .. والعدل هو وضع الاشياء فى مواضعها .. العدل هو اعطاء كل ذى حــق حقه ..فليس مــن العدل معاملة القاصر معاملة الرشيد ، فانه لا يستحقها .. وليس من العــدل أيضا معاملة الرشيد معاملة القاصر ، فانه يستحق افضل منها .. ولقد جاء فى شرع الله ان المرأة على النصف من الرجل .. قال تبارك وتعالى : « يوصيكم الله فى اولادكم ، للذكر مثل حــظ الانثيين » .. وقــال جــل مــن قــائل : « واستشهدوا شهيدين من رجالكم .. فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ، ممن ترضون من الشهداء ، أن تضل احداهما فتذكر احداهما الاخــرى » .. وليس هذا ظلما ، وانما هو عدل ، ولكنه العدل الذى يناسب القاصر .. هــو العدل الذى يبرره حكم الوقت .. فقد كانت المرأة فى القرن السابع قاصرة عن شأو الرجل ، وليس القصور ضربة لازب عليها ، وانما هو مرحلة تقطع مع الزمن

والصيرورة الى الرشد حتم ، مقضى ، بحتمية ملاقاة الله : « يأيها الانسان انك كادح الى ربك كدحا ، فملاقيه » وليست ملاقاة الله بقطع المسافات ، وانما هى بتقريب صفات العبد من صفات الرب •• وليس الانسان الوارد ذكره هنا هو الرجل وحده ، وانما هو الرجل أو هو المرأة •• والصيرورة المحتومة من القصور الى الرشد انما تنفذ فى الزمن ، وبنفاذها يقع ما يسمى بحكم الوقت •• فللقرن السابع « حكم وقت » هو الذى جعل العدل بين الرجال والنساء على الصورة التى جاءت بها شريعة الله ، وللقرن العشرين « حكم وقت » يجعل صورة العدل فى القرن السابع ظلما يبرأ الله منه •• وتنتقل صورة العدل الى المستوى الجديد الذى ضمنه دين الله ، حين قصرت عنه شريعة الله للقرن السابع ، نزولا على مقتضى الحكمة التى اقام الله عليها « حكم الوقت » ••

وفى حين جاء فى شرع الله ان المرأة على النصف من الرجل ، جاء فى دينه ان المرأة مساوية للرجل ، امام القانون •• قال جل من قائل : « ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف ، وللرجال عليهن درجة •• والله عزيز حكيم » •• والمعروف هو ما تواضع عليه الناس ، بحسب حكم وقتهم ، بشرط الا يخل بغرض من اغراض الدين •• واغراض الدين محورها تحقيق كرامة الانسان ، من رجل أو امرأة •• والمعروف ، عندنا فى القرن العشرين ، هو ان نعلم المرأة لأعلى الدرجات ، وقد اصبح لدينا منهن الآن الطبيبة ، والقاضية ، والمحامية ، والمهندسة ، والزراعية ، والادارية الخ الخ •• وهذا العرف ، بما يحقق من كرامة الانسان ، فانه لا يعوق اغراض الدين ، وانما يحققها ، ولكنه ، فى نفس الوقت ، ولنفس السبب الذى ذكرنا ، يوجب تحولا جذريا فى امر الحقوق والواجبات التى قام عليها « حكم الوقت » فى القرن السابع •• فجاء من ههنا قوله تعالى : « ولهن مثل الذى عليهن » •• يعنى لهن من الحقوق مثل الذى عليهن من الواجبات •• فاذا كانت الواجبات التى عليهن ، وينهضن بها ،

مساوية للواجبات التى على الرجال ، وينهضون بها ، فقد اصبح لهن من الحق مثل ما لهم ، لا وكس ولا شطط ..

احب لبناتنا ان يعلمن هذا ، وان يجودن فهمه ، والا يترددن فى وصف قصور شريعة القرن السابع (وبخاصه فى امر الاسرة) عن شأو القرن العشرين وليكن واضحا فى اذهانهن انهن ، حين يفعلن ذلك ، لا ينسبن الظلم ، ولا القصور ، الى الله ، تعالى الله عن ذلك ، وانما ينسبنه « لرجال الدين » الذين يطيب لهم ان يتحدثوا باسم الله ، وهم لا يكادون يفهمون عنه شيئا ، وانما يتحدثون فيما لا يعلمون ، حين يريدون للناس ان يعتقدوا ان كلمة الاسلام الاخيرة فى امر التشريع قد قيلت فى القرن السابع ..

احب لبناتنا ان يدافعن عن حقوقهن فى تشريع الدين ،لا ان يبحثن عن الانصاف فى شرائع الغربيين ، فانها لا تحوى لمشاكلهن حلولا ، ولا لمشاكل الرجال .. واحب لهن ان يستيقن انهن اولى بالدين ممن يسمون انفسهم « برجال الدين » ممن جمدوا الدين ، وجعلوه قضايا فقهية متحجرة ، لا روح فيها ولا حياة ..

هذا الكتاب ــ كتاب « تطوير شريعة الاحوال الشخصية » يهدى من جديد لبناتنا ، علهن يجدن فيه قبلة حلول مشاكل المرأة ، ومشاكل الرجل ، على سواء

بســـم الله الرحمـــن الرحيـــم

« ومن آياته أن خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة ، ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون » ••

صدق الله العظيم

مقـــدمة الكتـــاب:

هذا كتاب نخرجه للناس عن تطوير شريعة الأحوال الشخصية ، وهـو كتاب جديد فى بابه ، ذلك بانه يتناول الشريعة السلفية بالتطوير ، فيرتفع بهـا من نص كان عمدتها فى القرن السابع ، حين نزل القـرآن ، وشرع التشريع ، الى نص أعتبر يومئذ ، مرجأ الى وقته ، لأنه كان أكبر من ذلك الوقت ••

وكنا قد أخرجنا سفراً صغيراً عن الزواج اسمه : « خطوة نحو الزواج فى الاسلام » •• كان يســـتهدف أمرين اثنين : أولهما حل أزمة الزواج التى تهدد مجتمعنا الحاضر ، وذلك بالغـاء مراسيم الزواج التى جـرت العـادة بترسمها ، وان كان فى ترسمها مخالفة للدين •• والأمر الثانى هـــو تحقيق الكرامة للمرأة العصرية ، فى الحدود التى تسمح بها الشريعة السلفية •• ولم تكن ضرورة من أجل تحقيق طرف صالح من هذين الغرضين ، ان نخرج عـن الشريعة السلفية •• وان كانت ضرورة أن نخرج عما ألف الناس من هـــذه الشريعة •• ولما كنا فى نطاقها ، فى كل ما حـــواه : « خطوة نحـــو الزواج فى الاسلام » ، ما كنا نتوقع لهذا الكتيب أن يكون جدلياً •• وانما كنا ننتظر له أن يجد طريقه ممهداً ، وميسراً •• وكنا ننتظر الجدل لهذا الكتاب الـذى نخرجه اليوم باسم : « تطوير شريعة الأحوال الشخصية » ذلك بأن فيـــه تطويراً للشريعة السلفية ، على هدى أصول الدين ، حتى تستوعب الشـريعة

الجديدة طاقات الأنسان المعاصر ، وتحقق اغراض الدين بأكثر مما حققته الشريعة السلفية •• ولكننا عندما طرحنا كتيب : « خطوة نحو الزواج فى الاسلام » على القراء ، وأخذنا فى شرحه على الناس فى ندوات مفتوحات يحضرها الرجال والنساء ، من عامة المواطنين ، ظهر لنا ان كتاب : « خطوة ••• » نفسه يثير جدلا •• وظهر لنا منه ان الناس يجهلون شريعة الأحوال الشخصية ، ولا يتابعون اعمال القضاء الشرعى فى المحاكم الشرعية فى هذه الشريعة •• بل ، أسوأ من ذلك ، فانهم لا يهتمون بها ، ولا يعرفون لها من الحق ، والحرمة ، والأهمية ، بعض ما ينبغى لها •• ذلك بأنها أكثر الشرائع ، على الأطلاق ، التصاقا بكل مواطن ، ومواطنة ، وتأثيراً على كل طفل ، وطفلة ، من افراد الأمة ، ذلك بأنك تستطيع أن تعيش حياتك ، طالت أو قصرت ، من غير أن تحتاج القوانين الجنائية ، أو القوانين التجارية ، أو القوانين التى تنظم التعامل فى الحقول الخارجة عن حقل عملك ، وعمل من يهمك أمرهم مباشرة ، ولكنك لا تستطيع أن تعيش حياتك ، طالت أو قصرت ، من غير أن تحتاج شريعة الأحوال الشخصية •• ذلك بأنها شريعة تدخل كل بيت وتؤثر ، تأثيرا مباشراً ومتصلا ، على كل رجل ، وعلى كل امرأة ، وعلى كل طفل ، وعلى كل طفلة ••

لماذا عدم الاهتمام :

ولقد لاحظنا أثناء مناقشتنا لكتيب : « خطوة نحو الزواج فى الاسلام » فى الندوات مع المواطنين ، فى الأحياء المختلفة ، من المدن المختلفة ، وفى بعض القرى ، أن المثقفين لا يجدون حرجاً من الأعتراف بجهلهم لهذه الشريعة •• فى حين أنهم لا يرضون أن تظهر ثغرات فى ثقافتهم العامة من الفلسفات المعاصرة ، ومن الأفكار الاجتماعية التى تسود عالم اليوم •• ولعل بعض السبب فى عدم الأهتمام هذا يعود الى صنيع الاستعمار البريطانى ، الذى

صنعه بهذه الشريعة ، وبرجال هذه الشريعة ..

عندما دخل الاستعمار البريطانى هذه البلاد ، فى أخريات القرن التاسع عشر ، وغرة القرن العشرين ، وجد نفسه أمام شعب متعلق بالـدين ، سيىء الظن بنوايا العهد الاستعمارى الجديد ، كثير الخشية منه على الدين ، فما كان من هذا العهد الجديد الا أن أخذ فى تطمين الشعب على عدم التدخل فى دينه ، فأعلن عزمه على تسليم أمور دين الشعب الى زعمائه الـدينيين والى فقهائه ، والى قضاته الشرعيين .. فأنشأ المحاكم الشرعية .. وحدد لها اختصاصا لا يتعدى شريعة الأحوال الشخصية .. وجعل تنظيم أحـوال الناس المعاشية ، فى تعاملهم اليومى ، الى الشريعة الوضعية ، وأقام القضاء المدنى بازاء القضاء الشرعى ، وجعله فوقه ، وأعطـاه السيادة عليه ، وجعل تنفيذ أحكـام القضاء الشرعى فى يد القضاة المدنيين .. وكانوا ، فى الغالب الأعم ، بريطانيين .. فأوحى هذا الصنيع للشباب الذين أخذوا يتلقون العلم فى المعاهد التى أنشئت حديثاً بالبلاد ، على مناهج التعليم الغربى ، أوحى اليهـم بثانوية الشريعـة الاسلامية عامة ، وبشريعة الاحـوال الشخصية بخاصـة ، اذا ما قورنت الى القانون المدنى .. وكذلك نشأ عـدم الاهتمام بها والانصراف عن الاطـلاع عليهـا ..

مـاذا نـريـد ؟؟

ولمـا اتضح لنا هذا الجهل بشريعة الأحوال الشخصية ، واتضح لنا مدى عدم الاهتمام بها ، آثرنا ان نرجىء اصدار كتاب : « تطوير شريعة الأحـوال الشخصية » هذا الذى بين يدى القراء الآن ، ابتغاء أن يجد كتيب : « خطوة نحو الزواج فى الأسلام » الوقت الكافى ليثير الاهتمام بهذه الشريعة ، شديدة الأهمية لجميع المواطنين ، بين جميع المواطنين .. وقد طبع من هذا الكتيب ، فيما دون العام خمس وثلاثون الف نسـخة .. ونوقش فى العاصمة والمـدن

الاقليمية . . فى ندوات مفتوحة . . فى الاندية ، والبيوت ، ووسائل الأعلام المختلفة ، من صحف ، واذاعة ، وتلفزيون . . ولا يزال الطبع جارياً فى نسخه لزيادة نشره . . وسيظل نقاشه جارياً فى جميع الأوساط التى يتيسر لنا التحرك فيها . . والذى نريده ، من كل اولئك ، هو اثارة الأهتمام بهذه الشريعة ، ونشر الثقافة العامة فى تفاصيلها بين الشعب . . ثم تطبيق كتيب : « خطوة نحو الزواج فى الاسلام » فى جميع مستويات الأمة ، كخطوة انتقالية ضرورية ، تستعد بها الأمة لدخول عهد كرامة الرجل ، وكرامة المرأة ، تلك الكرامة التى يدخرها الاسلام للرجال ، والنساء ، والأطفال ، فى جميع مناشط حياتهم ، وسيظهر هذا جلياً فى كتابنا هذا الذى بين يدى القراء — « تطوير شريعة الأحوال الشخصية » . .

اعتذار .

ونحن نرى أن أسم هذا الكتاب : « تطوير شريعة الأحوال الشخصية » يوجب علينا كلمة اعتذار . . فان عبارة « شريعة الأحوال الشخصية » انما نشأت فى عهد الظلام . . عهد تعطيل عمل الشريعة الأسلامية ، فأخذت تقوم بجانب واحد ، وتعطل بجوانب أخرى . . وما أحب أن القى اللوم على الاستعمار . . لأن الاستعمار نفسه انما هو نتيجة لتخلف المسلمين ، ونصولهم عن دينهم — الاستعمار ليس هو المرض ، وانما هو من أعراض المرض . . والذين يظنون غير ذلك ، فيلقون عليه مسئولية تخلف الاسلام ، والمسلمين ، يخطئون كثيراً ، نتيجة لسطحيتهم فى التفكير . . وهم معرضون من ثم لشىء من خيبة الأمل ، غير قليل ، عندما ينظرون ، وقد جلا الاستعمار من أرض العرب ، وأرض المسلمين ، ثم لا يزال العرب ، والمسلمون ،

متخلفين ، بعيدين عن دينهم • • ان السبب الحقيقى لهذا التخلف هـو الجهل بالدين ، والانحراف به الى قضايا فقهية متحجرة ، تكبل العقل ، الذى يتخذها منهاجاً لدراسته ، ولا تحرره • •

كيف السـبيل الى التحـرير ؟؟

السبيل واحد •• لا سبيل غيره •• بعث ((لا اله الا الله)) قوية ، خلاقة فى صدور الرجال ، والنساء ، كعهدنا بها يوم خرجت من منجمها ، فى القـرن السابع ، فى الوسط العربى فى مكة ، وما جاورها •• ونحن ، مـن أجل ذلك ، نبشر بهـذا البعث • • وندعـو اليه ، فى معنى ما نبشر بتطـوير الشريعة الأسلامية ، بارتفاعها من النصوص الفرعية الى النصوص الاصلية • • فـأما النصوص الفرعية فهى الآيات المدنية التى اعتبرت صاحبة الوقت فى القـرن السابع • • واعتبرت مـن ، ثم ، ناسخة لـلآيات المكية • • وأما النصوص الأصلية فهى هذه الآيات المكية التى اعتبرت يومئذ اكبر من قامة المجتمع • • فلم يقم عليها التشريع • • واعتبرت فى حقـه منسوخة • • وارجئت الى ان يجىء وقتها •• وعندنا أن وقتها الآن قد جاء بمجىء هـذا المجتمع البشرى المعقد ، ، الذكى ، ذى الطاقات العلمية ، والفنية ، والثقافية والاجتماعية التى لا يمكن ان تقارن بطاقات مجتمع القرن السابع ، بحال من الأحوال • • ولقد أفردنا لهذا الموضوع كتاباً باسم ((الرسالة الثانية من الاسلام)) يجرى الآن فى طبعته الرابعة ، ويجد اقبالا متزايداً ، وتفهما مطرداً ، من جانب المواطنين •• وسيقوم كتاب ((تطوير شريعة الأحوال الشخصية)) بسبيل من هـذا الفهم الذى خـرج لتقعيده كتاب ((الرسالة الثانية مـن الأسلام)) • • حتى اذا اتضحت معالم الشريعة الاسلامية المتطورة ، الجديدة ، لم تعد هناك حاجة الى الأسم ((شريعة الاحوال الشخصية)) • • لأن الشريعة الاسلامية الجـديدة ستوجه طاقات المجتمع الجديد ، فى سائر وجـوه مضطربه ـ فى المنزل ، وفى

المدرسة ، وفى المكتب ، وفى المصنع ، وفى السوق ، وفى الشارع — فى منشطه ، وفى مكرهه ، فهى كل ، متكامل ، وما « شريعة الأحوال الشخصية » الا جزء من كل : وان كان جزءا له خطره وقدره ••

ثم ان توضيح مقدرة الشريعة الاسلامية على التطــــور من مستواها السلفى فى القرن السابع الى مستوى مجتمع القرن العشرين ، حتى تستوعب حاجاته ، وتوجه طاقاته ، هو ، فى ذاته ، يكون الدعوة الى الأسلام والى بعث « لا اله الا الله » من جديد ، لنأخذ ، من مستواها الجديد الذى تبعث فيه ، تشريعنا الجديد ، الذى يوفق فى سياق واحد ، بين حاجة الفرد الى الحــرية الفردية المطلقة ، وحاجة الجماعة الى العدالة الاجتماعية الشاملة •• هــذا التشريع هو التشريع الدستورى الذى لم تظفر البشرية به الى اليوم ، وهو ، هو ، حاجتها •• لأن به دخولها عهد عدلها ، ورخائها ، وكرامتها ، وسلامتها •• ومــن ههنا تجىء قيمة الأســلام التى لاتجاريه فيها فلسفة اجتماعية مـــن الفلسفات التى يفتن بها المثقفون عندنا الآن •• ومن ههنا أيضــا يجىء نظر الأسلام ، فى حقيقته ، لا فى شريعته السلفية ، الى المرأة كأنسان ، لا كجنس •• قال تعالى : « ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف •• وللرجال عليهن درجة » •• هذا يعنى أن لهن من الحقوق بقدر ما عليهن من الواجبات ، سواء بسواء •• قــوله « بالمعروف » •• يعنى « بالمعروف » ما تواضــع عليــه المجتمع ، فى تطوره المستمر نحــو كمالاته المبتغاة ، بشرط واحد ، هــو الا يكون المعروف المتواضع عليه مخلا بغرض من أغــراض الدين •• وأغــراض الدين جماعها تكريم الأنسان ، من رجل وامرأة •• فاذا بلغ تطور المجتمع بالمرأة أن تتولى المناصب الرفيعة بجدارة فان حقها من الحرية يكون مكافئا لمقدرتها علــى أداء هذا الواجب الرفيع •• فاذا كانت تؤديه كما يؤديه الرجل فقد أصبح حقها فى الحرية مكافئا لحقه فيها •• ذلك لسبب واحد بسيط هو أن واجبها قد كان مكافئا لواجبه •• تكافآ فى الواجبات ، فأصبح ، من مبادىء العدالة ، أن يتكافآ فى

الحقوق – « الأجر المتساوى للعمل المتساوى » – كما يقال ، فى وقتنا الحاضر
•• وان كان ما يقال يقتصر علــى المكافأة المــادية فقط •• « وللرجال عليهن
درجة » لا تعنى ، بالطبع ، ان لمطلق رجل درجة على مطلق امرأة •• هــذا
يؤكده الواقع المعاش ، والسير الموروثة •• وبهذا الفهم ينفتح طريق مساواة
الرجال والنساء ، فى الحقوق ، والواجبات ، فى تشريعنا الأسلامى الجديد ••
ولا تقع درجات التفاوت ولا التفاضل الا فى منطقة الأخلاق •• لا فى منطقة
القــانون ••

توطئة البحث :ـ

هذا بحث فى آصل أصول الدين • • بحث فى كرامة الأنسان • • والأنسان هو قمة هرم المملكة • • فان المملكة مكونة هكذا :ـ

فى القاعدة الغازات ثم السوائل ، والجمادات • • (بما فيها ، وفى قمتها الطين والماء) ، ثم النباتات ، ثم الحيوانات ، ثم البشر (بنو آدم) ، ثم الأنسان • • قال تعالى فى كرامة بنى آدم : « ولقد كرمنا بنى آدم ، وحملناهم فى البر ، والبحر ، ورزقناهم من الطيبات ، وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » • • وبنو آدم ليسوا قمة الخليقة ، وانما هم مرحلة من مراحل تطور الخليقة فى المملكة نحو مرتبة الأنسان • • بنو آدم بالنسبة للأنسان كالحيوان بالنسبة لبنى آدم • • وفى حين أن بنى آدم مفضلون على كثير من المخلوقات « وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » • • فان الأنسان مفضل على سائر المخلوقات • • وانما من أجل الأنسان خلقت الأكوان ، وما خلق الانسان الا من أجل الله • • قال تعالى فى معنى خلق الاكوان من أجل الانسان « هو الذى أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ، ومنه شجر فيه تسيمون * ينبت لكم به الزرع ، والزيتون ، والنخيل ، والأعناب ، ومن كل الثمرات • • ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون * وسخر لكم الليل ، والنهار ، والشمس ، والقمر ، والنجوم مسخرات بأمره ، ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون * وماذرأ لكم فى الأرض مختلفا الوانه ، ان ذلك لآية لقوم يذكرون * وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً ، وتستخرجوا منه حلية تلبسونها ، وترى الفلك مواخر فيه ، ولتبتغوا من فضله ، ولعلكم تشكرون * والقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم ، وأنهاراً ، وسبلا • • لعلكم تهتدون * وعلامات ، وبالنجم هم يهتدون » • •

وفى معنى خلق الأنسان من أجله قال تعالى : « وذكر !! فان الذكرى تنفع المؤمنين * وما خلقت الجن ، والأنس ، الا ليعبدون * ما أريد منهم من

رزق ، وماأريد أن يطعمونى * ان الله هو الرزاق ، ذو القـوة المتين » • •
وقال تعالى فى حق موسى « واصطنعتك لنفسى » • • وانما من هذه الآيات ومن
تلك ، قال العارفون عن لسان الحق : « جعلت الأكوان مطية للأنسان ، وجعلت
الأنسان مطية لى » وهو قول يذرع أيضا على الحديث القدسى : « ما وسعنى
أرضى ، ولا سـمائى ، وانما وسعنى قلب عبـدى المؤمن » • • وعلى الآية
الكريمة : «سنريهم آياتنا ، فى الآفاق ، وفى أنفسهم ، حتى يتبين لهم أنه الحق ••
أولم يكف بربك أنه على كل شىء شـهيد ؟؟» •• ولم يكـن الأنسان غائبـا
عن الأكوان ، وانما كان دائما طليعتها ، ورأس سهم تقدمها ، من لدن الغازات
•• ولا يزال التقدم يطرد به ، ولما يبرز لمقام عزه بعد •• قال تعالى عن تقلب
الأنسان فى الصور البدائية ، فى الآماد السحيقة : « هل أتى على الأنسان حين
من الدهر لم يكـن شيئاً مذكوراً ؟؟ * انا خلقنا الأنسان مـن نطفة أمشاج ،
نبتليه ، فجعلناه سـميعاً بصيراً * انا هـديناه السبيل : اما شـاكراً ، واما
كفوراً » وقوله « هل » هنا تعنى (قد) •• قد أتى علـى الأنسان دهر دهير
لم يكن فيه مذكوراً فى ملكوت الله ، لأنه لم يكن ، خلال هـذا الدهر الدهير ،
يتمتع بعقل التكليف • • وانما من ههنا سقط ذكره — « لم يكن شيئاً مذكوراً »
•• وهذا الدهر الدهير يوقت تقلبه فى الصور الدنيا ، من أسفل سافلين حيث
رد ، صاعداً الى أحسن تقويم حيث خلق •• قال تعالى : « لقد خلقنا الأنسان
فى أحسن تقويم * ثم رددناه أسفل سافلين » و « أسفل سافلين » هذه هى
نقطة أدنى صور تجسيد المـادة •• وتسخير الأكـوان له انما معناه اعانته فى
سيره هذا الطويل من منفاه فى البعد الى مقامه فى القرب عند الله •• كل شىء
سخر لهذه الغاية •• ابليس ، وذريته ، والملائكة الأطهار ، والرسل ، والكتب ،
والشرائع ، والقرآن بصورة خاصة •• ذلـك بأن طـريق الرجعى به قد بين
أحسن تبيين •• وهو بصورته التى بين دفتى المصحف قد نزل مؤخرا علـى
خاتم النبيين ، ولكنه ، فى حقيقته ، ما بدأ نزوله ، ولا انقطع نزوله ، وانما هو

مستمر النزول ، ولن ينفك ٠٠ هو فى صورته التى بين دفتى المصحف قد نزل ليوجه تطــور البشرية نحو الانسانية ــ ليستخلص الأنسان مــن البشر ٠٠ وليرسم طريق رجعته الى وطنه الذى قد طال اغترابه عنه ٠٠ انظر كيف تحكى هذه الآيات الكريمات بداية هذا الطريق ، ونهايته : «حم * والكتاب المبين * انا جعلناه قرآناً عربياً ، لعلكم تعقلون * وانــه ، فى أم الكتاب لدينا ، لعلى حكيم » ٠٠ عبارة «لدينا» تعنى عند الذات ، حيث لا عند ٠٠ وهـــذه تمثل خط السير فى المطلق ٠٠ والآية : « انا جعلناه قرآناً عربياً ، لعلكم تعقلون » ، تحكى طرف هـــذا الطريق الـــذى لامس أرض الناس ، حيث قامت الشريعة لتنظيم حياة الأفــراد ، مــن رجال ، ونساء ، تنظيماً يــوفق توفيقاً دقيقا ، ومتساوقاً بين حاجة الفرد من رجل ، وامرأة ، الى الحرية الفــردية المطلقة ، وحاجة الجماعة الى العدالة الاجتماعية الشاملة ٠٠

هـــذا هــو المحــك :ــ

والمقدرة على التوفيق بين حاجة الفرد الى الحـــرية الفردية المطلقة ، وحاجة الجماعة الى العدالة الاجتماعية الشاملة ، هى القمة التى تظهر قصور الفلسفات الاجتماعيات المعاصرات ٠٠ مع أن هذه الفلسفات هى قمة ما وصل اليه الفكر البشرى الى اليوم ٠٠ ويهمنا من هـــذه الفلسفات الاجتماعيات المعاصرات الماركسية ، والديمقراطية الغربية ٠٠ وما ذاك الا لمكان نفوذهما ، واستيلائهما على تنظيم المجتمع البشرى المعاصر ، فى الشرق ، وفى الغرب ٠٠ لقد تفرد الاسلام عن هاتين الفلسفتين بهذه المقدرة الدقيقة الفريدة ــ المقدرة على التوفيق بين حاجة الفرد وحاجة الجماعة ــ ويرجــع الفضل الأساسى فى تفرد الاسلام بهذه المقدرة الى أن شريعته تقع فى مستويين : مستوى الفرد ، ومستوى الجماعة ٠٠ فاما شريعته فى مستوى الفرد فتعرف بشريعة العبادات ، وتعنى ، فى المكان الأول ، بانشاء ، وتنظيم العلاقة بين الفرد والرب ٠٠ وتتجه

الى ايقاظ الضمير ، وتركز فيه الايمان بأن الله ، يلاحظـه ، ويراقبه ، ويعلم ما ينطوى عليه من خفايا الأسرار ٠٠ « وأنذرهم يوم الآزفة ، اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ٠٠ ما للظالمين مـن حميم ، ولا شفيع يطاع * يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور * والله يقضى بالحق والذين يدعون مـن دونه لا يقضون بشىء ٠٠ ان الله هو السميع البصير » ٠٠

وأما شريعته فى مستوى الجمـاعة فتسمى شريعة المعـاملات ، وتعنى بانشـاء ، وتنظيم ، العـلاقة بين الفرد والفرد ٠٠ والشريعتان متكاملتان ، ومتداخلتان ، ومؤثرتان ، ومتأثرتان ببعضهما ، على نحو ما تؤثر الجماعـة فى الفرد ، وتتأثر به ٠٠ والتعليم المركوز ، والثابت ، فى أصـول الدين ، أن الله غنى عن عبادة العباد ٠٠ فلم يبق الا أن العباد هم المحتاجون الى العبادة ٠ ٠ ومعنى هذا أن العبادة التى تتجه الى ايقاظ الضمير ، وبعثه ، وتقويمه ، انمـا مرادها اكساب الفرد المقدرة على حسن التصرف فى سلوكه فى الجماعة ، فأنه ، حين يستعين بالعبادة على المقدرة على حسن التصرف فى السلوك فى الجماعة ، ينجو من طائلة قوانين المعاملة ، ويستمتع ، بفضل هذه المقدرة ، بالحرية من الخوف من وصول عقوبة القوانين اليه ، وبذلك يحرز كرامته كانسان ، ليس عليه مـن رقيب الا ضـميره المنفتح على الله ، والمراقب له ، فيما يأتى وما يدع ٠٠

نشـأة الضـمير :

ولم تكن نشـأة الضـمير البشرى أمرا هينا ، ولا ميسورا ٠ ٠ ولقـد استغرق حقبة طويلة من الزمن ، بدايتها تؤرخ ارتفاع الانسان المعاصر عـن مرتبة الحيوان ٠٠ ولقد تولى الاسلام بدء هذه النشأة ، وظل يرعاها ، وينميها ، ويوجه مصيرها الى يوم الناس هذا ٠٠ ولكن الناس لا يعلمون هذا لانهم انما يظنون أن الاسلام جاء به محمد ، النبى الأمى ، فى القرن السابع ، حين نزل

القرآن باللغة العربية ، فى شعاب مكة ٠٠ فان وجدت منهم عالما فقد يخبرك أن الأسلام قد جاء به الانبياء ، من لدن آدم ٠٠ والحق أبعد من ذلك ٠٠ فان الاسلام ، فى عموم معناه ، هو الارادة الالهية التى سيرت الملكة ، فى جميع مستوياتها ، تسييرا قاهرا ، ومهتديا ٠٠ يقول تعالى فى ذلك «أفغير دين الله يبغون ، وله أسلم من فى السموات ، والأرض ، طوعا ، وكرها ، واليه يرجعون ؟؟» هذا هو دين الاسلام العام ٠٠ وعنه لا يخرج خارج ، ولا يشذ شاذ ٠٠ وفيه لا تقع المعصية ٠٠ فمن عصى فيه فقد أطاع ، فى معنى ما قد عصى ٠٠ وهذا الاسلام قد سير المادة الصماء تسييرا قاهرا ، فأسلمت وجهها «كرها» الى أن استخرج من المادة الصماء المادة الحية — من المادة غير العضوية استخرج المادة العضوية ، كما يعبر علماء الاحياء عندنا الآن ٠٠ ثم ان هذا الاسلام العام قد واصل توجيهه للمادة غير العضوية ، وللمادة العضوية ، على اختلاف فى مستويات هذا التوجيه ، فدخل اعتبار اللذة ، ودخل اعتبار الألم ، فى منطقة المادة العضوية — الحياة — فأصبحت الحياة تطيع توجيه اللذة «طوعا» وتطيع توجيه الألم «كرها» ٠٠ وهذا وذاك معنى قوله تعالى ، فى هذه المرحلة من مراحل الملكة : «وله أسلم من فى السموات والأرض طوعا وكرها» ٠٠ ثم ان هذا الدين الاسلامى العام قد واصل توجيهه بعد بروز الحياة الى أن برز العقل ٠٠ وببروز العقل برز الدين الاسلامى الخاص ٠٠ ويؤرخ بروزه بروز شريعة الحلال والحرام ٠٠ وهذه شريعة سابقة لعقيدة التوحيد ، وهى شريعة لم يفترعها آدم أبو البشرية المعاصرة ، وأول الرسل المذكورين عندنا فى القرآن ، وانما جاءت بها رسل قبله ، ممن لم يرد ذكرهم بصريح العبارة ، وان وردوا فى مضمون الاشارة ٠٠ قال تعالى فى ذلك : «واذ قال ربك للملائكة : انى جاعل فى الأرض خليفة ، قالوا : أتجعل فيها من يفسد فيها ، ويسفك الدماء ، ونحن نسبح بحمدك ، ونقدس لك ؟؟ قال : انى أعلم مالا تعلمون» . والاشارة هنا مضمنة فى اعتراض الملائكة حين قالوا :

« أتجعل فيها من يفسد فيها ، ويسفك الدماء ؟؟ » فانما كان اعتراضهم هـــذا ثمرة ممارستهم لتجارب بشرية فاشلة انقرضت بسبب فشلها ٠٠ وكـانت هى مقدمة للتجربة البشرية الناجحة ، الحاضرة ، والتى جاء طليعتها بدين الاسلام الخاص ، فى مرحلة التوحيد ٠٠ والى هــذا اشارة المعصوم بقوله : « خير ما جئت به ، أنا والنبيون من قبلى ، لا اله الا الله » ٠٠ واليه أيضـــا الاشارة بقوله تعالى : « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً ، والذى أوحينا اليك ، وما وصينا به ابراهيم ، وموسى ، وعيسى : أن أقيموا الـــدين ، ولا تتفرقوا فيه : كبر على المشركين ما تدعوهم اليه ٠٠ الله يجتبى اليه من يشاء ، ويهدى اليه من ينيب » ٠٠ فان « شرع لكم من الدين » ههنا تعنى التوحيد ، ولا تعنى التشريع ــ تعنى « لا اله الا الله » ٠٠ وانما من هذه الآية جاء قول المعصوم الذى سلفت اليه الاشارة ، قبل قليل ٠٠

نشـــأة الاســـلام الخـاص :

فى حين أن الارادة الالهية القاهرة هى دين الاسلام العام ، فان الرضا الالهى اللطيف هو دين الأسلام الخاص ٠٠ فانه لمن دقائق العلم بالله أنه أراد شيئا ولم يرضه ٠٠ فهو قد أراد الشر ، ولكنه لا يرضى الا الخير ٠٠ قال تعالى فى ذلـــك : « أن تكفروا فان الله غنى عنكم ، ولا يرضى لعبـــاده الكفـــر ، وان تشكروا يرضه لكم » ٠٠ فهو يقول : « ان تكفروا فان الله غنى عنكم » ، ومعنى هذا أنكم لم تكفروا مغالبة له ، وانما كفرتم بارادته ٠٠ وهذا يؤخذ من معنى الاسم « الغنى » ٠٠ فان « الغنى » هو الذى لا يغلب ٠٠ فهو فى هـــذه يريد الشر ، ولكنـــه لا يرضى الا الخـــير ٠٠ والله يريد بذاته ، ويرضى بذاته ، فى تنزل ، ولكن الرضا فى تنزله أقرب الى الذات من الارادة فى تنزلها ٠٠ والذات وحدة مطلقة ٠٠ وهى ، فى ذلك ، خير مطلق ٠٠ فمنزلة الرضا منزلة خير ، الشر فيها غايب ٠٠ ومنزلة الارادة منزلة خير الشر فيها أكثر منه فى منزلة الرضا ٠٠

وقد أرسل الله الرسل ليعينوا العقول لتخرج مما أراده الله ٠٠ الى ما يرضاه الله ٠٠ فان العقول هي مصافى الرضا من الارادة ٠٠ ويمكن تشبيه الارادة بماء المحيطات الملح ، ويمكن تشبيه الرضا بماء الأنهار العذب ٠٠ وتوسط حرارة الشمس فى استخراج الماء العذب من الماء الملح كتوسط العقول البشرية فى استخراج الرضا من الارادة ٠ وانما شرع الحرام والحلال ليروض العقول على القدرة على التمييز بين الخير والشر — بين مايريده الله وما يرضاه

نشـــاة المجتمـع :

الاختلاف بين دين الاسلام العام ودين الاسلام الخاص اختلاف مقدار ، ومن أجل ذلك فان عقيدة التوحيد قد جاءت متأخرة عن بداية ظهور دين الاسلام الخاص ٠٠ لقد كانت بداية الظهور بظهور شريعة الحرام والحلال ، فى مستوياتها البسيطة ٠٠ ثم ؛ بعد تطور طويل ، ظهرت عقيدة التوحيد من عقائد التعدد ، وبذلك ظهرت الكلمة «لا اله الا الله» ٠٠ وبظهورها بدأت ديانات التوحيد ، فى بعض بقاع الأرض ، جنبا الى جنب مع بقايا ديانات التعدد ٠٠ وأول من جاء بكلمة التوحيد آدم ، أبو البشر المعاصرين ٠٠ ويمكن أن يستفاد هذا الفهم من التجربة الفردية للعباد المجودين ٠٠ وفى قصة ابراهيم الخليل نموذج طيب لهذا الترقى الى مرتبة التوحيد ٠٠ يقول تعالى ، فى حكاية ذلك «فلما جن عليه الليل رأى كوكبا ٠٠ قال : هذا ربى ٠٠ فلما أفل قال : لا أحب الآفلين ❋ فلما رأى القمر بازغا ، قال : هذا ربى ، فلما أفل قال : لئن لم يهدنى ربى لأكونن من القوم الضالين ❋ فلما رأى الشمس بازغة ، قال : هذا ربى ، هذا أكبر ٠٠ فلما أفلت قال : ياقومى !! انى برىء مما تشركون ❋ انى وجهت وجهى للذى فطر السموات ، والأرض ، حنيفا ٠٠ وما أنا من المشركين ❋» ٠٠ هذه صورة للانتقال فى العقيدة من الخلق الى الخالق ٠٠ ومن التعدد الى التوحيد ٠٠ جاءت على لسان رجل هو أكبر الانبياء ، ما خلا نبينا ٠٠ وهناك صورة تحكى على لسانه لتدل على اطراد نموه فى العقيدة ، فى

داخل التوحيد ، يترقى من الايمان الى الايقان •• قال تعالى فيها : « واذ قال ابراهيم ربى أرنى كيف تحيى الموت ! ! قال : أولم تؤمن ؟؟ قال : بلى ! ! ولكن ليطمئن قلبى •• قال : فخذ أربعة من الطير ، فصرهن اليك ، ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ، ثم ادعهن ، يأتينك سعيا •• واعلم أن الله عزيز حكيم » ••
وزمان ظهور ابراهيم الخليل متأخر عن زمن نشوء المجتمع ، بما لا يقاس ، وما أوردناه الا لندلل على أن عقيدة التوحيد قد جاءت متأخرة كثيرا عن نشأة المجتمع •• وفى حين أن المجتمع يمكن أن ينشأ بدون عقيدة التوحيد ، فانه لا يمكن أن ينشأ بدون شريعة الحلال والحرام •• ولا تقوم شريعة الحلال والحرام الا على عقيدة •• وقد كانت هذه التى نشأت عليها شريعة الحرام والحلال البدائية عقيدة تعدد •• وهى ، فى وقتها ، قد كانت مرادة من الله ، ومرضية •• وهذا يعنى أن بداية عقيدة التوحيد قد نشأت فى الأرض ، فى مضمار مرحلة الانتقال المشتركة بين دين الاسلام العام ، ودين الاسلام الخاص •• وقد اعتقد البشر ، فى مرحلة الانتقال هذه ، فى الالهة المتعددة ••
وكان لكل أسرة اله ، بل قد كان لكل فرد ، من أفراد الأسرة ، اله •• وكان آلهة صغار الأسرة يخضعون لأله كبيرها ، تماما كما يخضع صغار الاسرة لكبيرها •• ثم ان آلهة الاسر الصغيرة قد كانت تخضع لاله الأسرة الكبيرة ••
وحين تنشأ الحروب بين قبيلتين من القبائل البدائية ، وتنهزم فيها قبيلة أمام قبيلة ، وتخضع لها ، فان آلهة القبيلة المغلوبة قد يخضعون لآلهة القبيلة الغالبة •• هذا يجرى فى أغلب الأحيان ، وبجريانه تقل أهمية آلهة كانوا ، قبلا ، معبودين ، ومقدسين •• ومع قلة أهميتهم يبدأ سقوطهم •• واختفاؤهم •• وتتحول عبادتهم لآلهة أكبر منهم ، هم ، فى الغالب الأعم ، آلهة الأقوياء والمطاعين من كبراء القبائل •• وهكذا دواليك •• هذه الصورة تعطى حركة التطور ، نحو توحيد الآلهة ، كنتيجة للصراع الذى به توجه الأرادة الهادية (التى سميناها دين الأسلام العام) سير البشر من التعدد الى

الوحدة .. فكأن بدايات التوحيد نشأت فى مضمار دين الأسلام العام ، ولكن اكتمالها ، بمجىء الكلمة ((لا اله الا الله)) قد كان نتيجة قفزة تمثلت فى المسامة السماء بالأرض فيما سمى ((بالوحى)) ، وهو اتصال الملك بالبشر ليوحى اليه تعليما معينا فى توكيد التوحيد ، وفى التسامى بـه عما كان عليه الأمر مـن قبل فى الأرض ، وفى توجيه التشريع الذى كان قد نشأ فى الارض قبـل عقيدة التوحيد الموحاة من السماء .. هذا يسوقنا ، فى استطراد بسيط ، الى تصحيح خطأ شائع ، وهو الزعم بأن الدين قد نزل من السماء .. والحق أن الدين نبت فى الأرض ، وألمت به أسباب السماء ، فهـذبته ، ونقته ، ووجهته .. فى تسام مقصود به أن تلحق الأرض بأسباب السماء ، فان رب الأرض ، ورب السماء واحد .. قال تعالى : ((وهو الذى فى السماء اله ، وفى الأرض اله ، وهـو الحكيم العليم)) ..

فأله الأرض ، اله الأرادة .. واله الســماء ، اله الرضـا .. اله الارض الرحمن ، واله السماء الله .. وانما هما اله واحد : ((قل ادعوا الله ، أو أدعوا الرحمن ، أياً ما تدعوا فله الاسماء الحسنى .. ولا تجهر بصلاتك ، ولا تخافت بها .. وابتغ بين ذلك سبيلا)) وأنما ، من ههنا ، قررنا أن دين الأسلام العام هو الأرادة ، ودين الأسلام الخاص هو الرضا .. وقررنا أن مهمة الوحى هى استخلاص الرضا من الأرادة بواسطة العقول البشرية المؤدبة بأدب السماء .. فان مثل الدين مثل النبات ، ينبت فى الأرض ، بتفاعل أسباب السماء معها .. ومثل الأنبياء ، مثل الفلاح يبذر البذرة فى الحقل ، فينبت القمح ، والحشائش معا ، فيجىء هذا الفلاح ، فيلتقط الحشائش ، ويترك القمح لينمو ويستحصد تحت رعايته ، وكلاءته .. وكذلك الأنبياء ، فانهم يجدون العادات ، والتقاليد ، صالحها ، وفاسدها ، مختلطا فى عقول ، وفى معيشة أممهم .. وهم ، بما أعدوا به من أدب السماء ، يميزون بين العادات الضارة ، والعادات الحسنة ، كمـا يميز الفـلاح بين نبات القمح ، والحشائش الضارة ، فيجتثون العـادات

الضارة ، وينمون العادات الحسنة •• وهـــذا هو السر فى كثرة ورود كلمة « المعروف » فى القرآن ، فان المعروف هو ما تواضع عليه الناس ، بشرط ألا يكون معوقا لغرض من أغراض الدين ، وجماع أغراض الدين تحقيق كـرامة الأنسان •• قال تعالى : « الـذين يتبعون الرسول ، النبى ، الأمى ، الـذى يجدونه مكتوبا عندهم ، فى التوراة ، والأنجيل ، يأمرهم بالمعروف ، وينهاهم عن المنكر ، ويحل لهم الطيبات ، ويحرم عليهم الخبائث ، ويضع عنهم اسرهم ، والأغلال التى كانت عليهم •• فالذين آمنوا به ، وعزروه ، ونصروه ، وأتبعوا النور الذى انزل معه ، أولئك هم المفلحون » ••

فالدين نشأ فى الأرض ، وألمت به اسباب السماء فهذبته ••

والأنسان حيوان متطور ، وأنما جاءت مقدرته على التطور من مقدرته على التخيل ــ تخيل صور الأشياء المقبلة •• وهذه المقدرة على التخيل قد أعانته على انشاء المجتمع ، فانه ، من جهة الحيوان ، قد ورث غريزة القطيع ، وهى غريزة تشده الى الجماعة شدا ، وورث أيضا الغيرة على انثاه ، وهى غـريزة تثير العداء بين ذكور القطيع ، وتعمل عملها فى التفريق •• فان الأطفال الذكور ، حين يبلغون مبلغ النضج ، يطردون كنتيجة لهذه الغريزة ، من الحظيره ، أو ، اذا ضعف آباؤهم ، قد يطرد الأبناء الآباء •• والنتيجة واحـدة ، هى تفتيت المجتمع •• ولقد خلق الانسان موزون القوى ، فلاهـو بالقوى الـذى يحل مشاكله بعضلاته ، ولا هــو بالخائر ، المتهالك ، الـذى لا يناجز ، ولا ينهض للعداوة •• وقد أعانه هذا الوضع الموزون على تفتيق حيلته ، ونمو عقله ، ومن هنا أهتدى الى المواءمة بين حياته وبين بيئته بكفاءة ، وبأقتدار عجز عـــن مداهما سائر الحيوانات •• وعن هذه المؤاءمة نشأ الدين ، ونشأ العلم ، ونشأ المجتمع •• ولن نتحدث هنا بتوسع عن هذه النشأة لأننا قد تحـدثنا ، بشىء قليل من التبسيط ، عنهـا فى كتابنا : « رسالة الصـلاة » ، فى مقدمة الطبعـة الرابعة فى صفحة ٣٣ من الطبعة الخامسة ، تحت عنـوان « الدين قبيل آدم ».

فليراجع فى موضعه ٠٠

ولكنا هنا نقرر : أن المجتمع لم يكن لينشأ الاعلى حساب الأفراد وذلك بتقييد نزواتهم وشهواتهم ، واندفاعاتهم الفردية ٠٠ ومن ههنا ، ومن أجل هذا التقييد نشأ العرف ، وقامت العادة ، التى تعتبر جرثومة القوانين الحاضرة ٠٠ ومع أن المجتمعات الصغيرة ، البدائية ، كانت تختلف فى اعرافها ، وعاداتها ، الا انه يمكن القول بأن الغريزة الجنسية قد كانت هى مدار التقييد ، يليها ، فى ذلك فى الأهمية ، حب التملك ٠٠ ولقد نشأ العرف الذى يحرم الأخت على أخيها ، والأم على ابنها ، والبنت على أبيها ، فى بداءة نشأة القوانين ٠٠ ولقد انصب أعنف الكبت على هـذه الغريزة وقيدت أشـد القيد لمصلحة نشأة المجتمع ، فأصبح الأب مطمئنا على زوجته من ابنائها ، وأصبح الأبن مطمئنا على زوجته من ابيه ، وأصبح الصهر مطمئنا كذلك على زوجته من اخيهـا ، ومن أبيها ٠٠ ومثل هذا يقال فى احترام الملكية ٠٠ ومن هذه القيود المضروبة علـى الأفراد أصبح المجتمع ممكنا ، وأخذ بداياته فى الماضى السحيق ٠٠ وهذا الكبت المبكر للشهوة الجنسية ، وشهوة التملك ، هو الذى يفسر السر فى أشـد التشريعات الأسلامية انضباطا ، وتلك هى شريعة الحدود ٠٠ فان الحدود أربعة ٠٠ ترجع الى أصلين : حفظ العرض ، وحفظ المال ٠٠ فحد الزنا ، وحد القذف ، يقـومان على ضرورة حفظ العرض ٠٠ وحد السرقة ، وحد قطع الطريق ، يقومان على ضرورة حفظ المال ٠٠ ولا يجوز ذكر حد الخمر ، وهو الحد الخامس ، فى هـذا المقام ، لأنه ليس فى مستوى هذه الحدود توكيدا ، وانضباطا ٠٠ ومعلوم أن الحدود تسمى حق الله ، وأنها ، بخلاف القصاص ، لا يستطيع أحد ــ لا ، ولا الرسول الكريم ــ ان يعفو عن الحد ، من قام به الحد ٠٠

بين الفـــرد والمجتمع :

غنى عن القول أن نشأة المجتمع قد أستغرقت عهدا طويلا ، طويلا ، بلـغ

خلاله عنف الجماعة بالأفراد المنحرفين ، عن العرف والعادة ، مبلغا رهيبا ..
فقد كان الأفراد غلاظا ، شكسين ، صعبي المراس .. وكان ترويضهم وتأديبهم ، يحتاج الى عنف عنيف .. وكانت عقوبة القتل توقع على ابسط المخالفات ، الى جانب التعذيب والتمثيل ، والتشويه ، فلم تكن يد السارق تقطع كما هي عندنا في شريعتنا الآن ، وانما كانت تقطع رقبته .. ثم خفف عليه في الأمد الطويل ، فاستؤصل بعضه بدلا من كله .. وكذلك جاءت شريعة قطع اليد .. هذا على سبيل المثال .. الغريب في الأمر ان هذا العنف العنيف بالأفراد لم يكن ليضحي بهم في سبيل الجماعة ، وانما كان يوفق بين حاجتهم ، وحاجة الجماعة .. ولاغرو في ذلك ، فان القوانين ، منذ ان نشأت في صور العادات والأعراف البدائية ، قد كانت شريعة اسلامية ، تتسم بالعدل ، وتوجهها الحكمة .. ولكنها انما كانت شريعة اسلامية في نطاق الدين الأسلامي العام .. وقد قلنا ان هذا يعني الارادة الألهية .. والقاعدة التشريعية الأم فيه تقوم على قوله تعالى :
((فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره * ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره)) .. وهذه القاعدة الأم في الدين العام تقابلها في الدين الخاص قاعدة ، ماخوذة منها ، وموازية لها ، تقول : ((وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس ، والعين بالعين ، والأنف بالأنف ، والاذن بالاذن ، والسن بالسن ، والجروح قصاص ، فمن تصدق به فهو كفارة له .. ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الظالمون))

ولقد خدم العنف العنيف بالأفراد ، هؤلاء الافراد ، لأن به قويت ارادتهم على السيطرة على شهواتهم ، فساروا في طريق الأنسان ، بعد أن كانوا مسترسلين في طريق الحيوان السائم .. ومع قوة الأرادة بدأت الأخلاق ، وبرز العقل .. وما كان له ان يبرز لولا الخوف الذي سار في ركاب العنف .. ولقد خدم الدين غرضه في ايقاظ الضمير منذ هذا العهد السحيق .. فانه قد تركز في نفوس الأفراد ان عمل الشر ، الذي يخالف عادات واعراف ومصالح المجتمع الذي يعيشون فيه ، يغضب آلهة الخير ، ويرضى آلهة الشر ، فيستحوذ

آلهة الشر على فاعلى الشر ، ويدخلونهم باستحوادهم عليهم ، بعد مماتهم ، ف ظلمات مطبقة من عذاب رهيب •• وبين الخوف من القانون ، والخوف من الآلهة ، بدأ يتهذب الفرد ، وتقوى سيطرته على نزواته ، وبدأت بذلك أصول الأخلاق •• فكأن هذه الأعراف والعادات البدائية ، منذ الوهلة الاولى ، قد وفقت بين حاجة الفرد الى الحرية ، وحاجة المجتمع الى العدل •• بيد أنها حرية فى أول السلم ، وعدل فى أول السلم أيضا •• وليس الأختلاف بين حاجة الفرد المعاصر ، والمجتمع المعاصر ، وحاجة الفرد يومئذ ، والمجتمع يومئذ ، الا اختلاف مقدار •• فنحن اليوم ، فى أخريات القرن العشرين ، نتحدث عن حاجة الفرد الى الحرية الفردية المطلقة ، وحاجة الجماعة الى العدالة الاجتماعية الشاملة •• وفى الحق أن هذه هى حاجتهما منذ بداءة النشأة ، ولكن الفرصة لم تتهيأ لتحقيق هذه الحاجة الا فى الآونة الأخيرة ، وانما كانت حياة المجتمع ، وحياة الأفراد ، فى الحقب السوالف مقدمة طبيعية للعصر الحاضر •• ولم تكن التضحيات السوالف الا ثمنا طبيعيا لعهد الكرامة الذى أخذ الأنسان يستشرفه اليوم •• فكأن دستورية القوانين التى نتحدث عنها فى الوقت الأخير ، ونقول عنها أنها هى القوانين التى لا تضحى بمصلحة الفرد فى سبيل الجماعة ، ولا بمصلحة الجماعة فى سبيل الفرد ، قد أخذت أصولها من تلك البدايات البسيطة غداة نشأة المجتمع •

قانون الغابة :

لقد نشأ المجتمع البشرى فى الغابة •• وورث مخلفاتها •• وهى مخلفات لا يزال يعيش أخرياتها •• والقاعدة العامة فيها أن القوة تصنع الحق •• فللقوى حق طبيعى على الضعيف •• يستحقه لمجرد قوته •• ويتقاضاه بقوته •• فالقوة تصنع الحق ، وتتقاضى الحق •• تلك شريعة الحيوانات •• ولا نزال ، نحن البشر ، حتى فى أخريات القرن العشرين ، نعتقد هذا ، ونعمل

به •• اكثر من هذا ، فاننا فى المجتمعات البدائية نفخر به •• فان هناك مـــن أغانينا ، نحن السودانيين ، أغنية تمدح فيها فتاة أخاها فتقول :ـــ « صار عينه بلا وقيعه ● جار حقه بلا شريعه أخوى روحه مسبلا » •

ولقد خدمت شريعة الغابة المجتمع ، والأفراد خدمة جلى ، وحفزتهم فى طريق الوعى والتطـــور •• ولقـــد كانت شريعة الغـــابة تمارس ، فى السلم ، بالقوانين العنيفة •• وفى الحرب ، بحد السلاح •• ولقد أسلفنا القول بـــأن قوانين الغابة فى أبشع صورها ، قد كانت شريعة اسلامية ، فى معنى الأسلام العام ــ الارادة الألهية ــ فلم يدخل فى الوجود شىء بغير هـــذه الأرادة •• وهذه الشريعة العنيفة ، فى حالتى السلم ، والحرب ، تكون من الله مرضية الى جانب انها مرادة ، حسب مواضع الحكمة مـــن الزمن ، وهـــو ما يسمى بحكم الوقت •• قال تعالى فى الصراع الذى توجهه حكمته بقانون الغـــابة : « واذا أردنا أن نهلك قرية ، أمرنا مترفيها ، ففسقوا فيها ، فحـــق عليها القـــول ، فدمرناها تدميرا ❋ وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح !! وكفى بربك ، بذنوب عباده ، خبيرا بصيرا » •• وعن الحكمة فى هذا الصراع الدامى يقول تعـــالى : « ولولا دفع الله الناس ، بعضهم ببعض ، لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين » ويقول فى موضع آخـــر : « ولولا دفـــع الله الناس ، بعضهم ببعض ، لهدمت صوامع ، وبيع ، وصلوات ، ومساجـــد ، يذكر فيها اسم الله كثيرا •• ولينصرن الله من ينصره •• ان الله لقوى عزيز » •• هـــــذه هى الحكمة فى صراع الغابة •• وقد بدأت فى مضمار الدين الأسلامى العام •• ثم دخلت عهد الدين الاسلامى الخاص •• وقد نالها فى هذه المرحلة شىء كثير من التلطيف •• وصـــور تلطيفها تعكس انتقال أفراد المجتمع مـــن حالة الغلظة والجفوة ، الى حالة اللطف والوداعة •• والسير جميعه متجه الى تهذيب الفرد وتعليمه وتأديبه ، ونقله من الاستيحاش الى الاســـتيناس ، ومن الجهل الى العلم •• والنصر دائما للعلم على الجهل : « ولينصرن الله من ينصره ان الله

لقوى عزيز » ٠

وأهم أسباب الصراع ، ويمكن القول، ان السبب الوحيد فى الصراع ، هو « الرزق » — مطالب المعدة والجسد — فان الأحياء — منذ فجر الحياة قد تعرضوا لتجارب مريرة من الجوع ٠٠ وقد كانت المجاعات أمرا عاديا ، ومتفشيا ٠٠ ولا تجود البيئة الطبيعية من الأطعمة بالفائض الذى يغنى الحى عن أن يشتغل بخزن قوته ، أو أن يموت جوعا فى أوقات القلة والندرة ٠٠ فبسبب الرزق ، والحرص عليه ، والظفر به ، صراع الديدان ، وصراع الحيتان ، وصراع الحيوان ، وصراع الانسان ٠٠ وهذه الصراعات ، فى جميع المستويات ، هى التى حفزت حياة الأحياء ، وطورتها فى مراقى التدنى من الكمال ٠٠ ولله فى ذلك الحكمة البالغة ، فهو تعالى يقول : « والأرض مددناها ، وألقينا فيها رواسى ، وأنبتنا فيها من كل شىء موزون ❋ وجعلنا لكم فيها معايش ، ومن لستم له برازقين ❋ وان من شىء الا عندنا خزائنه ، وما ننزله الا بقدر معلوم ❋ وارسلنا الرياح لواقح ، فانزلنا من السماء ماء ، فاسقيناكموه ، وما أنتم له بخازنين ❋ وانا لنحن نحيى ، ونميت ، ونحن الوارثون » ٠٠ قوله : « وانبتنا فيها من كل شىء موزون » يعنى موزون بالحكمة ٠٠ فلا تكون فيه الوفرة التى تغنى عن الصراع ٠٠ قوله : « وما ننزله الا بقدر معلوم » ٠٠ هذا القدر المعلوم هو الذى يورث العلم بدقة توجيهه الحياة ٠٠ قوله : « وانا لنحن نحيى ونميت ، ونحن الوارثون » ٠٠ يعنى « نحيى ونميت » بتقدير الأرزاق ، ومنها الآجال ٠٠ قوله « ونحن الوارثون » ٠٠ يعنى لنا عاقبة تطور الأحياء بارتقائهم الى مقام عزهم ٠٠ ويقول ، جل من قائل ، عن الرزق أيضا فى مقام آخر : « ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الأرض ، ولكن ينزل بقدر ما يشاء ، انه بعباده خبير بصير ❋ وهو الذى ينزل الغيث من بعد ما قنطوا ، وينشر رحمته ، وهو الولى الحميد » ٠٠ فبضبط الرزق ، من قبض ، وبسط ، ساق الله اليه عباده فى مراقى

الترب ، يدفع بعضهم ببعض : « الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ، ويقدر له ‎..‎ ان الله بكل شيء عليم » .

هذا الصراع من أجل الرزق ، هو قانون الحياة الأساسى ‎..‎ والخوف من ألم الجوع ، ومن الموت جوعاً ، هو الخـوف العنصرى الأول الـذى عـرفه الأحياء ، حيثما وجدوا ‎..‎ وكل الحيل التى يحتالونها من بداية الحياة ، والى يوم الناس هذا انما هى محاولة للفرار من ألم الجوع ، بالاستيثاق مـن وفرة الرزق ‎..‎ وفى الحياة البدائية كحياة الحيتان ، فان « الكبير يأكل الصغير » ‎..‎ فانه هو قوته ‎..‎ وفى حياة الغابة « القوى يأكل الضعيف » فانه هـو قوته ‎..‎ وعندما بزغت حياة الانسان فان القوى من الناس يسترق الضعيف ، ويستغله ويستخدمه ‎..‎ فانه هو وسيلة قوته ‎..‎ ومن هاهنا نشأ الرق ، ونشأ استغلال الأقوياء للضعاف ‎..‎ ودخلت الحيل ـــ قوة الذكاء ـــ جنباً الى جنب مـع قوة العضل ، لتنظم هذا الاستغلال واصبح المجتمع البشرى يعيش فى غابة تختلف عن غابة الحيوان اختلاف مقدار ‎..‎ فالصراع فى هذا المستوى ، بين الاقوياء والضعاف أنما هـــو صراع بين المستغلين (بكسر الغين) والمستغلين (بفتح الغين) ‎..‎ وهذه الصورة البشعة من صور المجتمع ، التى ما عـرف المجتمع البشرى الى يومنا هذا ، على نطاق واسع ، غيرها هى التى طوعت لكارل ماركس أن يقرر مبادئه الأربعة :ـــ

١ ـــ مجرى التاريخ تتحكم فيه القوى الاقتصادية ‎..‎
٢ ـــ التاريخ ما هو الا سجل لحرب الطبقات ‎..‎
٣ ـــ الحكومة ما هى الا أداة تستخدمها طبقة فى أضطهاد طبقة أخرى ‎..‎
٤ ـــ العنف والقوة هما الوسيلتان الوحيدتان لأحداث أى تغيير أساسى فى المجتمع .

ان هذه الصورة التى رسمها كارل ماركس ، على بشاعتها ، فيها كثير من

الحق •• ولكنها ، لحسن العناية الالهية ، والتوفيق الالهى انما هى مرحلية تتأدي البشرية بها الى الخير المطلق ، والى المحبة الشاملة ، والسلام التام •• وهى ليست ، كما ظنها كارل ماركس ، صورة ملازمة للانسان وللمجتمع الانسانى ، لا تتطور الا فى داخلها ، وبوسائلها المتكررة ، وباختلاف يسير لا يخرجها من القيد الى الاطلاق ••

قانون الانسان :ـ

ومع أن سبب الصراع فى مجتمع الغابة ، فى الغالب الأعم ، قد كان الرزق ، فان صور الصراعات التى كانت دوافعها نصرة المظلومين ، والمستضعفين ، والدفاع عن الحقوق الضائعة ، بدوافع انسانية خيرة ، لم تكن غائبة تماما عن المسرح •• وببروز الدين الاسلامى الخاص ، من الدين الاسلامى العام ، فى الصور المتقدمة ، أخذت الاعتبارات الانسانية تزداد كل حين •• ولكأنه ، من يومئذ ، أخذت فى الظهور القيم التى تحض عليها هذه الآية : ــ « ومالكم لا تقاتلون فى سبيل الله ، والمستضعفين من الرجال ، والنساء ، والولدان ، الذين يقولون : ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها ، واجعل لنا من لدنك ولياً ، وأجعل لنا من لدنك نصيراً » •

وبظهور الدين الاسلامى الخاص ، فى مستوى التوحيد ، دخلت اعتبارات جديدة فى أسباب الصراعات التى تزخر بها البيئة البدائية ــ اعتبارات غير اعتبارات الرزق ــ أصبح ، بهذه الاعتبارات الجديدة ، قتال الناس من أجل الرزق ، امراً معيبا ، ومرذولا •• قال تعالى فى ذلك : « الذين امنوا يقاتلون فى سبيل الله ، والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت •• فقاتلوا أولياء الشيطان ، ان كيد الشيطان كان ضعيفا » سمى القتال من اجل الكسب المادى ، قتالا فى سبيل الطاغوت •• وسمى الذين يقاتلون هذا الضرب من القتال « اولياء الشيطان » •• وحرض (اولياء الرحمن) على قتالهم ، وهون أمرهم فى صدورهم •• وأولياء الرحمن هم

الـذين يقاتلون فى سبيل الله •• والقتـال فى سبيل الله ، انما هـو نصرة للمستضعفين من الرجال ، والنساء ، والصبيان •• وبهـذا الأعتبار اخـذت شريعة الأنسان ، التى يكـون للضعيف فيها مكان ، يدال لهـا مـن شريعة الحيوان ، التى لا حق فيها الا للقوى •• وركزت الأديان على هذا النحو مـن الخلق الرفيع •• قـال تعالى : « لقـد ارسلنا رسلنا بالبينات ، وأنزلنا معهم الكتاب ، والميزان ، ليقوم الناس بالقسط ، وانزلنا الحديد فيـه بأس شديد ، ومنافع للناس ، وليعلم الله مـن ينصره ورسله بالغيب •• ان الله قـوى عزيز » •• قوله : « لقد أرسلنا رسلنا بالبينات » •• يعنى رسل البشر ، الذين اتصل بهم ملك الوحى ، فبين لهم الحقائق الواضـحات ، وامروا أن يبينوا للناس ، وأيدوا فى سبيل ذلك بالمعجزات ، وبقوة البيان •• قـوله : « وانزلنا معهـم الكتاب » يعنى الكلمـة الجامعة وهى : « لا اله الا الله » •• قـوله « والميزان » يعنى الشريعة الموزونة بالصـدق ، والحق ، والناهضة علـى التوحيد ، يعنى علـى « لا اله الا الله » •• قوله : « ليقوم الناس بالقسط » يعنى لينصفوا بعضهم من بعض ، يعنى ليقيموا العدل بينهم ، فلا يظلم ضعيف لضعفه ، ولا يستطيل قوى لقوته •• قوله : «وانزلنا الحديد فيه باس شديد» أشار « بالحديد » هنا الى السيف ، ومن ثم الى الجهاد فى سبيل اقامة العدل ، والقسط ، ليدفع الناس بعضهم بعضا ، فلا ينحرف احد عـن الجادة ، ومن ينحرف يرد ببأس الحديد الى الاستقامة عليها •• قوله : « ومنافع للناس » يشير الى سـائر المنافع التى تكـون فى الأرتفاق بمعدن الحـديد فى معترك الحياة •• ثم قال : « وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب » •• ها هنا اشارة الى الجهـاد فى سبيل نصرة الحق •• ثـم قال : « ان الله قوى عزيز » •• ها هنا اشارة الى أن نصرة الحق انما هى من الله •• فالذين يقاتلون فى سـبيل نصرة الحق عليهم ان يكونوا شاكرين حين استعملهم ربهـم استعمالا حسنا ، فنصر بهم الحق •• والله غنى عن الناصرين ، فهو «قوى عزيز» ومع أن معانى

القتال فى سبيل الله اخذت تبرز ، وتستحوذ على المقاتلين ، فان دوافع الكسب المادى ، فى صور الغنيمة والسبايا — غنيمة الاموال ـ وسبى النساء والذرارى — لا تزال تكون قدراً عظيماً من حوافز هذا القتال عند المقاتلين •• وقد درجهم بها الشارع الحكيم ، فاحلها لهم ، شريطة الا تكون هى الدافع الاساسى للقتال •• قال تعالى فى تربيتهم فى ذلك : « يا أيها الذين آمنوا اذا ضربتم فى سبيل الله فتبينوا ، ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام : لست مؤمناً ، تبتغون عرض الحياة الدنيا ، فعند الله مغانم كثيرة •• كذلك كنتم من قبل ، فمن الله عليكم ، فتبينوا !! ان الله كان بما تعملون خبيراً » •• يقول : « يا أيها الذين آمنوا » يعنى الأصحاب ، ومن تلاهم الى يومنا هذا : « اذا ضربتم فى سبيل الله » ، يعنى اذا سافرتم من أجل القتال فى سبيل الله ، « فتبينوا !! » يعنى تثبتوا ، واستوثقوا ممن تقاتلون ، أهو مسلم ، أم هو كافر ؟؟ واذا لقيكم احد فحياكم بتحية الاسلام فاقبلوها منه ، ولا تقولوا له : انما قلتها لتتقى بها القتل •• ولا تقتلوه ابتغاء الغنيمة التى تأخذونها منه •• هذا هو معنى قوله : « ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام : لست مؤمناً ، تبتغون عرض الحياة الدنيا » •• ثم قال « فعند الله مغانم كثيرة » اشارة الى ان الله يغنى ، عن الغنيمة غير المشروعة ، بما عنده من مغانم لا تحصى •• ثم ذكرهم بنوع من هذه المغانم ، وهو نوع اغلى من كل مغانم الدنيا ، فقال : « كذلك كنتم من قبل ، فمن الله عليكم » ، اشارة الى نعمة الاسلام بعد الكفر ، وهى نعمة لا تعدلها نعمة •• فمن كان كافراً ، فمن الله عليه ، فأخرجه من الكفر الى الايمان فلا يستطل ، وليكن به عطف على من كان فى زمرتهم قبل ان يمن الله عليه ، فيخرجه من الظلام الى النور ، وليكن قتاله لهم ، حين يقاتلهم ، فيه عطف ورحمة وحكمة تستعمل السيف كمبضع الطبيب ، لا كمدية الجزار •• ثم قال مرة أخرى « فتبينوا !! » لتوكيد التثبت ، ووزن الامور ، حتى لا يقع التورط فى الهلكة بقتل الابرياء ، ابتغاء الغنيمة •• ثم جاء بالفاصلة : « ان الله كان بما تعملون خبيرا » ليشير الى اطلاعه على خفايا النوايا ، ذلك بأن اخلاص الجهاد فى

سبيل الله ، باطراح الاغراض الدنيا ، من دقائق الامور •• فرب مقاتل يظن انه يقاتل فى سبيل الله ، ولا يدرى انه انما يقاتل فى سبيل الدنيا بما يرجـوه من الغنائم والسبايا •• جاء فى هذه الآية بنسق عال مـن التربية الرشـيدة ليوجه الصراع وجهة القيم بدلا من وجهة العوامل الاقتصادية التى اشار اليها ماركس •• وكما سبق أن قررنا ، فان من رشاد التوجيه الى مستوى القيم عدم اسقاط مغريات المادة •• فان النفوس ، لتتربى ، لا تقفز عبر الفضاء ، من مقام الى مقام ، وانما تتوكأ على ضعفها ، فتسير ، من قديمها ، على هينة ، الى جديدها •• والا انقطعت ، وكلت ، ولم تبلغ منزلتها •• انظر كيف يدرجها !! « لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة ، فعلم ما فى قلوبهم ، فانزل السكينة عليهم ، وأثابهم فتحا قريبا ❋ ومغانم كثيرة يأخذونها ، وكان الله عزيزاً حكيما ❋ وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها ، فعجل لكم هذه ، وكف أيدى الناس عنكم ، ولتكـون آية للمؤمنين ، ويهـديكم صراطا مستقيما ❋ وأخرى لم تقدروا عليها !! قد احاط الله بهـا •• وكان الله علـى كل شيء قديراً » •• قوله : « لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة » ، يعنى يبايعون على القتال فى سبيل الله •• وتلك قد كانت بيعة الحـديبية •• قوله : « فعلم ما فى قلوبهم » من خلوص النيه لوجه الله •• ثم جاء ليسوغهم الغنائم ، ويحلها لهم حين لم تكن اكبر همهم ، فأخلصوا النية ، وخلصوها مـن سلطان الغنيمة عليها ، فقال ، بعد ان بشرهم بنزول السكينة علـى قلوبهم ، : « ومغانم كثيرة يأخذونها » •• وقد كانت لهم بفتح خيبر •• ثم قال : « وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها » يعنى من الفتوحات المقبلات •• قـوله : « فعجل لكم هذه » يشير الى غنيمة خيبر ، ويمن عليهم بها ، لمـا علم خلوص نيتهم فى الحديبية •• ثم جاء للغنائم ، مرة أخرى ، فقال : « وأخرى لم تقدروا عليها ، قد احاط الله بها » ، اشارة للغنائم مـن الأمم الكبيرة التى لـم يكن المسلمون ليقدروا على قتالها لولا عـون الله اياهم •• شاهدنا ان العهد الجديد أخـذ

يحول الناس من القتال فى سبيل المغنم الى القتال فى سبيل القيم ، فاستعمل المغانم كحوافز ثانوية حتى لا يقفز بالناس عبر الفضاء ، فيقع الخلل فى التطوير ، وتحصل النكسة •• ثم ان استعماله للمغانم ، نفسه ، انما هو استعمال مرحلى •• أكثر من هذا !! فان القتال فى سبيل الله انما هو نفسه مرحلى •• فان الله انما يريد للناس ان يعيشوا فى سبيله ، لا إن يموتوا فى سبيله •• ومن هاهنا جاء قول النبى ، عقب كل عودة من عوداته من الغزوات : « رجعنا من الجهاد الاصغر ، الى الجهاد الاكبر •• » ويعنى بالجهاد الاكبر جهاد النفس ، فى حين ان الجهاد الاصغر هو جهاد العدو •• واصول الدين كلها تقوم على الدعوة الى الحق عن طريق الاقناع ، والافهام ، والاسماح •• قال تعالى : « وقل الحق من ربكم •• فمن شاء فليؤمن ، ومن شاء فليكفر •• انا اعتدنا للظالمين نارا احاط بهم سرادقها •• وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل ، يشوى الوجوه ، بئس الشراب ، وساءت مرتفقا » •• وقال ، فى معنى هذا الاسماح ، : « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتى هى احسن •• ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله ، وهو اعلم بالمهتدين » •• وقال ، فى منع الاكراه : « لا اكراه فى الدين ، قد تبين الرشد من الغى •• فمن يكفر بالطاغوت ، ويؤمن بالله ، فقد استمسك بالعروة الوثقى ، لا انفصام لها •• والله سميع عليم » •• فكانه قال • لا تكرهوا الناس ، بل بينوا الرشد من الغى بلسان حالكم ، وبلسان مقالكم ، فهذا يكفى كل ذى فطرة سليمة •• وقال ، فى منع التسلط ، وهو اوضح ما يقال فى هذا الباب : « فذكر !! انما انت مذكر * لست عليهم بمسيطر » فهو ، تبارك ، وتعالى ، ينهى نبيه الكريم ، على كمال خلقه ، وتجافيه عن مواطن الاستعلاء ، ينهاه ان يسيطر على الناس •• وما ذاك الا لقيمة كرامة الانسان عند الله •• وفى هذا المستوى من الدين ، تنتقل الصورة تماما ، من قانون الغابة الى قانون الانسان •• ويظهر مدى التخلف فى افكار كارل ماركس التى سلفت الاشارة

اليها •• فان حكاية كارل ماركس فى نقاطه الاربع :ــ

١ ــ مجرى التاريخ تتحكم فيه القوى الاقتصادية ••

٢ ــ التاريخ ما هو الا سجل لحرب الطبقات ••

٣ ــ الحكومة ما هى الا اداة تستخدمها طبقة فى اضطهاد طبقة أخرى •

٤ ــ العنف ، والقوة ، هما الوسيلتان الوحيدتان لاحداث أى تغيير اساسى فى المجتمع ••

انما هى حكاية عن الماضى •• وهى حكاية لا تستقيم حين يخرج الانسان من قانون الغابة ، الى قانون الانسان •• وهى على ذلك ، فى أحسن حالاتها ، انما هى مرحلية •• ولكن قانون الأنسان لم يجىء ، لأن الانسان نفسه لم يجىء ، بعد ، وانما تبشر بهذا المجىء الايات التى سلفت الاشارة اليها •• ولم يكن لهذه الايات حكم فى الماضى ، وانما أرجئت ، واعطى الحكم لآيات تأخذ فى اعتبارها مرحلة الأنسان فى القرن السابع وعلى هــذه الآيات الأخيرة قامت الشريعة الاسلامية الحاضرة (السلفية) •• وستكون لنا الى هــذا الحديث عودة ، بشىء من التفصيل ، فى هذه التوطئة ••

المجتمع العبــودى :ــ

الانسان كسلان بميله •• فهــو لا يرغب فى العمل اليدوى ، ويحاول ان يحيله الى غيره دائما •• وهــو الى ذلك ، خــائف •• ويرجع خــوفه الى ظروف العنف التى احتوشته ، فى بيئته الطبيعية التى يعيش فيها ، مما دفعه الى الحرص ، والى حب الجمع ، والادخار ، والاستكثار من الطعام والحطــام ، وانما من هاهنا نشأ الرق •• فالرق هو امتلاك الانسان للانسان امتلاكا يكون له به مطلق التصرف فى حياة رقيقه ، لانه من ماله •• وبالرق استطاع الانسان حوالة عمله على غيره ، كما استطاع ان يكثر من ادخاره للطعام ، والحطام •• والرق انما هو ثمرة لغلبة الاقوياء على الضعاف •• واكبر موارده الحروب ••

فان القبيل المغلوب يكون رجاله رقيقا للقبيل الغالب ، ونساؤه سبايا ، يضممن الى حريم الغالبين ، أو يستخدمن فى البيوت ، وفى الحقول •• ولايزال الرق ، بصورة من الصور ، يلازم المجتمع البشرى الى يومنا هـــذا •• فهو يتقلب فى صور الحيل اللطيفة ، ولكنه لا ينتهى •• ومن حسن التوفيق الالهى أن دخلت الآلة ليحال اليها العمل ، بدلا مـــن الرقيق ، وليتوفر بها الانتاج ، حتى يتم تطمين الانسان على قوته •• فاذا وجد كسل الانسان عن القيام بعمله مندوحته فى الحوالة على الآلة ، ووجد خـــوف الانسان علـــى قوته طمأنينته بوفرة الانتاج ، فان الطريق ينفتح على التحرير ، وعلى استئصال صـــور المجتمعات العبودية مهما دقت ، هذه الصور ، ولطفت •• وهذا لا يكون الا فى عهد قانون الانسان ، الذى تعتبر كل العـــراكات البشرية التى تنزت بالدم ، وتتنضـــح بالعرق ، مقدمة طبيعية له ••

المـــــرأة :

تحدثنا عن الرق ، وكيف أنه ثمرة الحروب ، والمغارات ، وكيف أن الرجال يسترقون ، والنساء يسبين ، فيضممن الى الرقيق ، أو يضممن الى الحـــريم ، فظهر ، من ههنا ، حظ المرأة المسبية •• فما هو حظ المرأة الحرة ؟؟ أهى رقيق أيضا ؟؟ أم هل هى ملكة ؟؟ أن وضع المرأة فى الأسر وضع غريب حقا •• انهـــا ليست رقيقا ، بالمعنى المفهوم عن الرق ، ولكنها ليست حرة •• فالرقيق يكـــاد يعامل من وجهة نظر واحدة ، هى الشعور بانه مال مملوك ، ضمن المال •• ولكن المرأة تعامل من وجهة نظر تنبعث من خليط من المشاعر •• فهى مملوكة ، وان اختلف نوع ملكيتها عن ملكية الرقيق •• وهى محبوبة ، وحبها يبعث علـــى استحواذ الرجل عليها •• وهى ماعون الولد ، والحرص علـــى انقاء النسب يسوق الى تشديد الرقابة عليهـــا •• وهى ضعيفة ، فى مجتمع الفضيلة فيـــه للقوة •• وهى متهمة ، ومظنة خطيئة ، فلا ترى لها عفة مـــرعية الا عفة يسهر

عليها الرجل .. يقول شاعرهم فى ذلك :ـ

أسـكين ، ما ماء الفـرات وطيبـه
منى علـى ظمأ وبعـد شـراب

بألـذ منـك ، وان نـأيت ، وقلمـا
ترعى النسـاء أمانة الغيـاب

من هذه المواقف المختلطة ، ومن مشاعر غيرها ، تدخل فى بابها ، جاءت معاملة المرأة ، وضرب عليها الحجاب ، وعوملت معاملة القاصر ، المتهم .. ونزع أمرها من يـدها ، وجعـل الى ابيها ، أو أخيها ، أو وليها مـن أقاربها الادنين ، أو قد يجعل لمطلق رجل من العشيرة ، أو للحاكم ، أو لزوجها .. ولا يكاد يختلف حظ المرأة فى بلـد ، دون بلـد ، الا اختلافا طفيفا .. وعندنا فى الجزيرة العربية ، عندما أشرقت عليها شمس الاسلام ، كانت الأنثى تعامل شر معاملة .. وكان التخلص منها يعتبر مكرمة من المكارم ، وكانت ، مـن أجل ذلك ، تدفن حية .. ولقد جاء الاسلام بتقريعهم على هـذا الصنيع الشنيع .. قال تعالى : ((واذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم * يتوارى من القوم من سوء ما بشر به .. أيمسكه على هون ؟؟ أم يدسه فى التراب ؟؟ ألا ساء ما يحكمون !!)) .. وقال تعالى ، فى موضع آخـر : ((واذا الموءودة سئلت * بأى ذنب قتلت ؟؟)) وهى انما كانت توأد حية لأمر من أمرين ، أو لكليهما معا : اما خوف المضايقة فى الرزق الضيق ، أو خوف العار .. فقد كان المجتمع الجاهلى ، فى الجزيرة العربية ، يعيش فى ضنك شديد ، وفى جـوع عضوض .. وكان مجتمعا لا يرعى تنظيمه قانون ، فهو يمثل قانون الغابة ، فى أبشـع صوره ، حتى انهـم قالوا : ((من غلب سلب)) .. وكانت الأنثى ، فى مجتمعهم هذا ، تكلفهم المشقة ، والجهد الجهيد ، فى اعالتها ، وفى حمايتها من غارات المغيرين ، من اشقياء القبائل الأخرى .. ومـع كل أولئك فقـد كانت معاملتها كرقيق مملوك أظهر صيغ معاملاتها .. فكـان الجاهليون يتزوجـون

العشر ، والعشرين زوجة .. يستغلون النساء ، يستولدونهن ، ويستخدمونهن فى بعض أعمالهم .. وهم عن طريق الزواج ، يمارسون الرق .. ولا تزال صور بشعة ، من هذا الاسترقاق عن طريق الزواج ، تمارس فى المجتمعات المتخلفة المعاصرة .. ونحن ، فى بعض اجزاء بلادنا ، نعرفها .. وعندى أن التسلط على المرأة ، حين يكون معتدلا ، ومستهدفا حماية عرضها ، وصون عفتها بضرب الحجاب المعتدل عليها ، يكون أمره مقبولا بمقتضى حكم الوقت .. ولكن هناك كثيرا من التسلط عليها ، ممن لا يهتمون بصونها ، ولا بعفتها .. فيرجع الأمر الى الملكية ، والاسترقاق .. ومهما يكن من الأمر ، فان الاعتدال فى معاملة النساء أمر نادر .. فالحجاب الذى يضربه المسلمون اليوم على نسائهم ، فى بعض البلاد الاسلامية ، فيه شطط يمليه سوء الظن ، والغيرة المتهمة ، وحب تسلط القوى على الضعيف .. فقد جاءت الشريعة الاسلامية السلفية بضرب من الحجاب ، فيه الاعتدال المطلوب ، والقصد الحميد ، ولكن الناس يتجاوزونه بدوافع مما أسلفنا ذكره ..

ثم ان الاسلام ورث هذه الأوضاع البشعة التى كانت تجرى فى مجتمع الجاهلية .. فحسم المشتط منها حسما .. ولكنه لم يكن ليتخلص من سائرها ، فينهض بالمرأة الى المستوى الذى يريده لها فى أصوله ، وما ينبغى له أن يتخلص ، وما يستطيع .. ذلك بان حكمة التشريع تقتضى التدريج .. فان الناس لا يعيشون فى الفراغ .. والمجتمعات لا تقفز عبر الفضاء ، وانما هى تتطور تطورا وئيدا ، وعلى مكث .. فوجب على التشريع اذن أن يأخذ فى اعتباره طاقة المجتمع على التطور ، وحاجته الراهنة فيجدد قديمه ، ويرسم خط تطوره ، ويحفزه على السير فى المراقى .. وهذا ما فعله التشريع الاسلامى .. فانه قد احتفظ بتعدد الزوجات ، ولكنه حصره فى أربع ، مراعيا ، فى ذلك ، أمرين حكيمين . هما اعزاز المرأة ، وحكم الوقت .. فأما حكم الوقت فانه قد كانت المرأة تعيش فى المستوى الذى أسلفنا ذكره ، وما كانت اذن

لتستطيع أن تمارس حقها فى المساواة ، بين عشية وضحاها •• وانما كانت لابد لها من فترة انتقال ، تتهيأ خلالها لتتنزل منزلة عزتها ، وكرامتها ، كاملة ، غير منقوصة •• ومن حكم الوقت أيضا ان كان عدد النساء أكبر من عدد الرجال ، وذلك لما تأكل الحروب منهم ، فرآى الشارع الحكيم : أنه أن يكن للمرأة ربع رجل ، يعفها ، ويصونها ، ويغذوها ، خير من أن تكون متعنسة ، بغير رجل •• وكذلك سمح بالتعدد الى أربع •• فقال : « فانكحوا ما طاب لكم من النساء ، مثنى ، وثلاث ، ورباع •• فان خفتم ألا تعدلوا ، فواحدة » وقال ، فى موضع آخر : « وان امرأة خافت من بعلها نشوزا ، أو اعراضا ، فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا •• والصلح خير •• واحضرت الانفس الشح •• وان تحسنوا ، وتتقوا ، فان الله كان بما تعملون خبيرا * ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ، ولو حرصتم •• فلا تميلوا ، كل الميل ، فتذروها كالمعلقة •• وان تصلحوا ، وتتقوا ، فان الله كان غفورا رحيما » •• فهو ليصل الى شريعته هذه المتمشية مع حكم الوقت ، تنزل عن أصله ، وتجاوز عن العدل التام ، وسمح ببعض الميل ، فقال : « فلا تميلوا ، كل الميل •• » مع أنه ، لولا حكم الوقت ، لم يكن ليسمح الا بالعدل التام •• وهو ، فى أصول الدين ، لايتجاوز عن بعض الميل •• وفى أمر المال فانه أشرك الأنثى فى الميراث ، ولكنه جعلها على النصف من الرجل ، فقال ، : « للذكر مثل حظ الأنثيين » •• وأدخلها فى عدالة الشهادة ، ولكنه جعلها على النصف من الرجل أيضا ، فقال : « واستشهدوا شهيدين من رجالكم •• فان لم يكونا رجلين ، فرجل ، وامرأتان ممن ترضون من الشهداء ، ان تضل احداهما فتذكر احداهما الأخرى » •• ان هذه الشريعة السلفية عادلة ، وحكيمة ، اذا اعتبر حكم الوقت •• ولكن ، يجب أن يكون واضحا ، فانها ليست الكلمة الأخيرة للدين •• وانما هى تنظيم للمرحلة ، يتهيأ بها ، وخلال وقتها ، المجتمع ، برجاله ونسائه ، لدخول عهد شريعة الانسان ، ويتخلص من عقابيل شريعة الغابة ، خلاصا يكاد

يكون تاماً •• ويومئذ تعامل المرأة ، فى المجتمع ، كانسان •• لا كأنثى •• ذلك هو يوم عزها المدخر لها فى أصول الدين ••

عودة الى قانون الانسان :ـــ

قلنا : ان الانسان لم يجىء بعـد ، وانما جاء طـلائعه فى صـور أنبياء الحقيقة •• فالانسان تطور علـى ابن آدم ، (البشر) •• وقلنا : ان صور الملكة تتفاوت فى شـكل هرمى ، قمته الانسان ، يليه ، مـن أسفله البشر (بنو آدم) ، يليهم ، من اسفلهم ، الحيوان •• وهكـذا الى ان نصـل الى القاعدة •• وقـد اسلفنا تفصيل هذه الصـورة ، فى جملتها •• والاسلام ، فى أصوله ، يحـوى شريعة الانسان •• ولكنه ، فى فروعـه ، أعنى فى شريعته السلفية ، لا يزال يحوى بعض السمات الملطفة من قانون الغابة •• وانما جاءه هذا التخلف (اذا ما قورن بالاصول) من حكم الوقت ، حين التشريع •• وقد بينا الحكمة فى ذلك ••

كان محمـد هو وحـده الانسان ، فى سائر امته •• وكـانت له شريعة خاصة ، قامت على أصول الأسلام •• وكانت شريعة أمته تقوم على الفروع •• ولقـد نزلت الاصول فى مكة ، فيما هـو معروف عنـدنا بالآيات ، والسور ، المكية •• وقـد استمر نزولها خـلال ثلاث عشرة سنة •• فلـم يستجب لها الجاهليون •• فظهر ، ظهوراً عمليا ، انها فوق طاقتهم •• فسحبت من التداول ، فى مستوى التشريع •• ونزل التنزيل علـى حكم الوقت •• وجاءت آيات الفـروع •• وهى ما تعـرفه عندنا بالآيات المدنية ، وبالسور المدنية •• وفى قمـة الاصول آيات التكليف الفردى •• والتكليف الفردى يعنى العبودية •• فالعبودية ، فى مستواها الرفيع ، لا تكون الا فردية ، ذلك بأنها هى مواجهـة العبد للرب ، وتأدب العبد مع الرب ، بالادب اللائق بالعبودية نحو الربوبية •• وأمثلة ذلك فى القرآن كثيرة •• منها قوله تعالى : « ان كل مـن فى السموات

والارض الا آتى الرحمن عبداً ❋ لقد احصاهم ، وعدهم عدا ❋ وكلهم آتيه يوم القيامة فرداً » •• ومنها قوله تعالى : « ولقد جئتمونا فرادى ، كما خلقناكم أول مرة » •• ومنها قوله تعالى : « ونرثه ما يقول ، ويأتينا فردا » •• وتأدب العبودية مع الربوبية انما يقوم على العلم بالحقيقة •• والحقيقة ، فى هذا المستوى ، هى معرفة أسرار الالوهية •• وتلك معرفة ذوقية •• وهى ، من ثم ، دائما فردية •• ولما كان النبى صاحب شريعة فردية ، من حيث انه نبى ، فقد جاء تكليفه فى القمة •• فهو ، وان كانت الصلاة المكتوبة مفروضة عليه ، وعلى أمته ، فهو يؤديها كما يؤدونها ، من حيث الهيئة ، الا انه قد كان مخصوصا بصلاة الليل •• فهى فرض عليه ، حين لم تجىء فى حق امته الا عن طريق الندب الى التأسى به •• قال تعالى : « يا أيها المزمل قم الليل الا قليلا ❋ نصفه ، أو انقص منه قليلا ❋ أو زد عليه •• ورتل القرآن ترتيلا ❋ انا سنلقى عليك قولا ثقيلا ❋ ان ناشئة الليل هى أشد وطأ ، واقوم قيلا •• » وهو قد كان يؤدى الصيام المكتوب ، من حيث الهيئة ، كما تؤديه أمته •• وكان ، فى صيام التطوع ، يواصل الصيام ، بمعنى انه قد يصوم ، صوما متصلا ثلاثة أيام ، وليلتين ، من غير ان يفطر اثناءها •• فلما اراد أصحابه ان يقلدوه فى ذلك نهاهم ، وأمرهم بالصيام الشرعى المكتوب عليهم •• فلما قالوا : « فانا نراك تواصل يا رسول الله » ، قال : « انى لست كأحدكم •• فانى ابيت عند ربى ، يطعمنى ، ويسقينى •• » وهو لم يكن ، بالطبع ، ليسقى ، ويطعم ، الشراب ، والطعام ، الماديين ، وانما هو اليقين بالله •• فهو لم يكن ، من حيث اليقين ، كأحدهم •• وكذلك اختلف عنهم •• فاركان الاسلام الخمسة ، عنده ، تختلف عنها ، عندهم ، وان اتفقت فى ظاهر الصورة •• وما ذلك الا لمكان معرفته بالله •• وفى المال — الزكاة — والمال هو المحك دائما ، الذى فى التكليف باخراجه تظهر خبايا النفوس ، فقد كان يختلف عنهم اختلافا أساسيا •• فهو قد كان ركنه التعبدى ، من حيث المال ، فى مستوى آية : « ويسألونك ماذا

ينفقون !! قل : العفو !!.)) •• وهو قد فسر ((العفو)) بكل ما زاد عن حاجته الحاضرة •• فهو ، من ثم ، لم يكن ليدخر رزق اليوم لغد ••

ثم ان تكليف الأمة قد تنزل من هذا المستوى الى مستوى يطيقونه •• ولقد جاء تكليفهم فى الزكاة فى مستوى آية : ((خذ من اموالهم صدقة ، تطهرهم ، وتزكيهم بها •• وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم ••)) •• واعتبرت هذه الآية ، فى حق شريعة الامة ، ناسخة لتلك •• قامت على هذه الشريعة الجماعية •• وظلت تلك سنداً ، وعمدة ، لشريعة النبى الفردية ، ولاحظ للأمة فيها ، الا حظاً يجىء عن طريق الندب ، والتأسى ، ومحاولة اتقان اتباع النبى ، لمن استطاع منهم ••

آيات الاصول ، وآيات الفروع :ـ

قلنا : ان الآيات المكية هى آيات الاصول ، وان الآيات المدنية هى آيات الفروع •• وقلنا ، ان نزول آيات الاصول قد تواتر خلال ثلاث عشرة سنة ، أثناء العهد المكى •• فلم يستجب لها الجاهليون •• فظهر ظهوراً عمليا ، انها أكبر من مستواهم •• فنزل الى مستواهم ، بعد الهجرة الى المدينة ، وبعد افتتاح العهد المدنى •• فنزلت آيات الفروع •• واعتبرت صاحبة الوقت ، لمناسبتها لمستوى الناس •• ونسخت آيات الفروع ، آيات الاصول ••

فآيات الاصول هى قمة الدين •• وكانت تقوم على تقرير كرامة الانسان ــ على الحرية ــ ومن هاهنا كانت آيات اسماح •• ومنعت الاكراه منعا تاماً •• وهى كثيرة جداً •• ومن امثالها قوله تعالى : ((ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتى هى أحسن •• ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله ، وهو أعلم بالمهتدين)) •• ومنها : ((وقل الحق من ربكم !! فمن شاء فليؤمن ، ومن شاء فليكفر ••)) •• ومنها قوله : ((فذكر !! انما انت مذكر * لست عليهم بمسيطر !!)) ••

وعند نهاية الفترة المكية التى بها ظهر القصور العملى عـــن شأو آيات الاصول ، بدأ عهد التحـــول ، ليجيء التنزيل فى مستوى الامة يومئذ ٠٠ وأول ما بدىء به التحول قوله تعالى : « اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا ٠٠ وان الله على نصرهم لقدير ٠٠» هذا اذن ، بعد ان لم يكن اذن بالقتال ٠٠ بل بعد ان قد كان نهى عنه ٠٠ ثم جاء فى طريق التحول بنقلة أخـــرى ، فقال : « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ، ولا تعتدوا ٠٠ ان الله لا يحب المعتدين » ٠٠ ثم جاء بخاتمة العهد القديم ، فنسخ آيات الاسماح جميعها ، وذلـــك حيث قال : « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ، ويكون الدين لله ٠٠ فان انتهوا فلا عـــدوان الا على الظالمين » ٠٠ فهو ها هنا قد جاء بالحكمة وراء القتال ، وهى انهـــاء الشرك ، وتوطيد عبادة الله وحده ، لا شريك له ٠٠ «حتى لا تكون فتنه» ٠٠ ، أى شـــرك ٠٠ « ويكون الدين لله » ، خالصاً ، مــــن غير شريك ٠٠ قـــوله : « فان انتهوا » يعنى عن الشرك ٠٠ « فلا عدوان الا علـــى الظالمين » ٠٠ يعنى لا يكون قتال بالسيف ، وانما تكون اقامة الشريعة على الخارجين عليها مـــن المؤمنين بالمعصية ٠٠ وفى هذا المستوى جاءت آية « التوبة » التى ســـميت : « آية السيف » واعتبرت ناسخة لجميع آيات الاســـماح ٠٠ قال تعالى فيها : « فاذا انسلخ الأشهر الحـــرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ، وخذوهم ، واحصروهم ، واقعدوا لهم كل مرصد ٠٠ فان تابوا ، واقاموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، فخلوا سبيلهم ٠٠ ان الله غفور رحيم ٠٠ » ٠٠ هــــذه الآية توجت الصورة التى بدأت منذ حين ٠٠ وقال المعصوم ، فى بدايتها : « امرت ان اقاتل الناس حتى يشـــــهدوا ان « لا اله الا الله وان محمداً رسول الله ، ويقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة ٠٠ فاذا فعلوا ، عصموا منى أموالهم ، ودماءهم ، الا بحقها ٠٠ وامرهم الى الله » ٠٠ فلكأن العهد الذى بدأ بعـــرض الحـــرية ، وحمايتها ، والحرص على توفيرها ، الى الحد الذى ينهى فيه النبى ، على كمال خلقه ، عن السيطرة على الأفراد : « فـــذكر ! ! أنما انت مذكر ✻ لست عليهم

بمسيطر » ، قد انتهى .. وقد بدأت مصادرة حرية من يسىء التصرف فى الحرية .. وهذا حق ، وعدل ، لا يأتيه الباطل ، ولا الظلم ، لا من بين يديه ، ولا من خلفه .. فانه ، فى أصل الأسلام ، ان الناس أحرار ، على شرط ان يحسنوا التصرف فى الحرية .. وحسن التصرف فى الحرية معناه : افراد الله بالعبادة ، لأن الله ، تبارك ، وتعالى ، يقول : « وما خلقت الجن والأنس الا ليعبدون » فهو تعالى قد خلق الناس ليعبدوه ، وحده ، لا شريك له .. ووفر لهم من نعمة العقل ، ونعمة البدن ، ونعمة الرزق ، ما يعينهم على حسن عبادته .. ثم انهم انصرفوا عنها ، وعكفوا على عبادة اصنام ينحتونها بأيديهم فارسل لهم رسوله ، وهيأه بكمال الصفات ، وحلاوة الشمائل ، وانزل معه قرآنا معجزاً ، يتلى ، وايده بكل البينات ، ليذكرهم ، بأيام الله ويدعوهم الى عبادته ثم ان الرسول اجتهد فى ذلك ، لا يألو .. ومكث بين ظهرانيهم ثلاث عشرة سنة يبغيهم الخير .. يحتمل أذاهم ، ويكف عنهم كل الأذى .. فلم يستجيبوا .. بل بلغ طغيانهم ان تآمروا على حياته ، فظهر ، من كل أولئك ، أنهم قصر ، وانهم دون مستوى مسئولية الحرية ، فسحبت منهم الحرية .. وجعل أمرهم الى النبى ، وصياً عليهم ، (شأن القصر دائما) ، وامر أن يرشدهم ، وان يحملهم على مصلحتهم ، بالأكراه ، ان اقتضى الأمر .. وكذلك جاء الامر بالجهاد .. وجاء حديثه الآنف الذكر .. وكانت مصادرة الحرية ، للمشركين عن طريق السيف ، وللمؤمنين عن طريق الشريعة .. والتشريع عادة لا يصادر الحرية ، وانما ينظمها .. ولكن التشريع فى مرحلة الوصاية يشكل قدراً من المصادرة ، فهو يصادر الحرية التى لا يطيق تحمل مسئولية حسن التصرف فيها القاصر .. ومن هذا الباب آية الشورى التى يعتبرها علماء المسلمين آية ديمقراطية ، وما هى بذاك ، وانما هى آية حكم الفرد الرشيد الذى جعل وصياً على القصر ، وأمر بترشيدهم حتى يكونوا أهلا للديمقراطية ، بنهوضهم الى مستوى حسن التصرف فى الحرية الفردية .. وآية الشورى تقول : « فبما

رحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظا ، غليظ القلب ، لأنفضوا من حــولك ٠٠ فاعف عنهم ، واستغفر لهم ، وشاورهم فى الأمر ٠٠ فاذا عزمت فتوكل علــى الله ٠٠ ان الله يحب المتوكلين » ٠٠ هذه آية الشورى ٠٠ وهى ، كما قررنا ، ليست بآية ديمقراطية ٠٠ أكثر من هذا !! انها ناسخة لآية الديمقراطية ٠٠ ناسخة لقوله تعــالى : « فذكر !! انما انت مذكر ✻ لست عليهــم بمسيطر » هاتان الآيتان هما آيتا الديمقراطية ٠٠ وهما منسوختان على مستويين ٠٠ فأما فى مستوى المشركين ، فمنسوختان بآية السيف ٠٠ واما فى مستوى المؤمنين ، فمنسوختان بهــذه الآية ــ آية الشورى ــ ومادمنا فى ذكر الديمقراطية فمن الخير ان نستطرد يسيراً الى ذكر توأمتها ــ الأشتراكية ٠٠ فان الاشتراكية فى اصول الاسلام ، وليست ، فى فروعه ــ أعنى أنها ليست فى شريعته ٠٠ فــآية الأشتراكية « ويسألونك ماذا ينفقون !! قل العفو !! » وهذه هى آية الزكاة الكبرى ، آية زكاة النبى ٠٠ وهى ، فى حق الشريعة ، للأمة ، غير ملزمة ، وانما هى منسوخة بالآية الفرعية ، آية الزكاة الصغرى :

« خذ من أموالهم صــدقة ، تطهرهم ، وتزكيهم بها ، وصــل عليهم : ان صلاتك سكن لهم ٠٠ والله سميع عليم » ونختم هذا الأستطراد القصير بكلمة أخيرة يجب ان تكون مفهومة ، فان من يتحدث عن الديمقراطية ، والأشتراكية ، فى الأسلام ، من غير أن يتحدث عن تطوير الشريعة السلفية من مستوى آيات الفروع ، الى مستوى آيــات الاصول انما يدلى بباطل ، ويتحــدث فيما لا يعلم ٠٠

الــوصـــــاية :ــ

بينا أن الشريعة الأسلامية ، حيث قامت على آيات الفروع ، فقد قامت على عهد الوصاية « وهو عهد لابد أن يكون مرحلياً فانه ، الا يكن كذلك ، تكن آيات الأصول ، وهى قمــة ديننا منسوخة ، والى الأبــد بآيات الفروع ، وهى دونها بما لا يقاس ٠٠ ومعنى هذا ان يتقدم المفضول على الفاضل ، وهــذا مالا

يكون لأنه يتنا فى مع الحكمة •• فلم يبق الا أن نسخ الفاضل بالمفضول هـو نسخ مؤقت •• والحكمة وراءه انما هى نقل المجتمع المتخلف ، فى المراقى ، ليستعد ليستأهل آيات الأصول •• وحيث كانت الأمة قاصرة ، وكان النبى وصياً حتى على الرجال ، فان الرجال ، بدورهم ، وعلى قصورهم قد جعلوا أوصياء على النساء •• وذلك لمكان قصورهن الكبير ، الذى ورثنه من العهد الجاهلى •• والآية التى تقوم عليها وصاية النبى على الرجال ، هى آية الشورى وقد اوردناها من قبل ونصها : « فبما رحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظاً ، غليظ القلب لأنفضوا من حولك •• فأعف عنهم ، واستغفر لهم ، وشاورهم فى الأمر •• فاذا عزمت فتوكل على الله •• ان الله يحب المتوكلين » •• قوله : « فاذا عزمت فتوكل على الله » هو الذى يحمل سر الوصاية •• فكأن الشورى مأمور بها ، ولكن رأى المستشارين غير ملزم •• فلكأنه قال : شاورهم فى الأمر ، لتطيب خواطرهم ، ولتصحح ، عندهم ، احترام بشريتهم ، ولتجعل لهم مشاركة فى أمورهم ، ولتعدهم ليخرجوا من دور القصر الى دور الراشدين •• فاذا كان رأيهم موافقاً لرأيك ، أو لم يكن لك رأى عتيد فيما شاورتهم فيه ، وعزمت على تنفيذ ما أشاروا به •• فتوكل على الله ، ونفذ •• أما اذا كان ما اشاروا به لا يتفق مع ما ترى ، وعزمت على تنفيذ ما تراه صواباً ، فاطرح رأيهم •• فانه غير ملزم لك ، وتوكل على الله فى تنفيذ ما ترى •• هذا شأن الأوصياء الراشدين ، مع القصر الذين جعلوا تحت وصايتهم •• هذا الفهم لطبيعة الشورى لا يحتاج منا الى طويل تفصيل ، فانه ، فى التجارب المعاشة عندنا الآن ، صاحب الأمر غير ملزم باستشارة المستشار ، هذا فى المكان الاول ، ثم هو ، ان استشاره ، فانه ، على التحقيق ، غير ملزم بالأخذ بمشورته ، وانما هو يستشير ليستأنس برأى المستشار •• هذا اذا كان المستشار صاحب اختصاص ، فما ظنك به اذا كان قاصرا ؟؟ أليس من الغريب أن توهم هذه الآية احدا بأنها آية ديمقراطية ؟؟ والآية التى تقوم عليها وصاية

الرجال على النساء ، هى آية : « الرجال قوامون علـــى النساء ، بما فضل الله بعضهم على بعض ، وبما انفقوا من أموالهم ، فالصالحات قانتات ، حافظـــات للغيب ، بما حفظ الله ، واللاتى تخافون نشـــــوزهن ، فعظوهن ، وأهجروهن فى المضاجع ، واضربوهن •• فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن ســبيلا •• ان الله كان عليا كبيرا » •• قوله « الرجال قوامون على النساء » •• يعنى أوصـياء عليهن ، لهم عليهن حق الطاعة •• السبب ؟؟ « بما فضل الله بعضهم علـــــى بعض ، وبما أنفقوا من أموالهم •• » •• والفضيلة ، ههنا ، هى ، فى المكـــان الأول ، فضيلة جسدية •• هى قوة الساعد ، وقوة الاحتمال ، والمقدرة علــــى الأنتصار فى مآزق الحروب ، أو مضانك كسب العيش •• فأن الفضائل تختلف اختلافا كبيرا من مجتمع لآخر ، فما هو فضيلة فى مجتمع بعينه ، قد لا يكـــون فضيلة فى مجتمع آخر •• فانك أنت اليوم فى مدينة أمدرمان ، حيث حكـــومة القانون قائمة ، وحيث رجال الأمن ساهرون ، فليس مـــن الفضيلة أن تسير فى الشوارع وأنت تحمل سلاحا ، سيفا كان ، أو حـــربة ، أو بندقية ، ابتغاء أن تعتدى على من قد يعتدى عليك •• ولكن الفضيلة فى أن تطمئن الى القانون وان تحترم القانون فلا تأخذه فى يدك ، وانما تحـــرك دولابه ليقتص هو لك ممن اعتدى عليك •• ثم ان صنيعك هذا الـــذى اعتبر فضيلة فى مدينة أمدرمان لا يعتبر فضيلة فى بادية الكبابيش ، أو فى جبال البحـــر الأحمر ، أو فى احراش الجنوب ، وانما تكون الفضيلة فى هذه المواطن أن تسير وانت تحمل من السلاح ما تردع به من عسى تحدثه نفسه بالتعرض لك بالمكروه ، أو ، على أيسر تقدير ، ما ترهبه به •• هـــــذا هو اختلاف الفضيلة بين مجتمع المـــدينة مثلا ومجتمع الغابة •• وعلى نحو من هذا الأساس تقاس الفضيلة فى قوله : « بما فضل الله بعضهم على بعض » •• وبسبيل من هذا تجىء المقدرة علـــى كسب الأرزاق ، واحراز الأموال •• ومن ثم : « وبما أنفقوا من أموالهم » •• فكـــأن المرأة ، لمكان ضعفها الجسدى ، وضعفها الوظيفى ، فى معترك الفضيلة فيه ، فى أغلب

الاحيان ، لقوة الساعد ، ولفرصة الخلو من الموانع التى تعوق الكدح ، والسعى ، قد اصبحت محتاجة الى من يغذوها ، ومن يحميها ٠٠ ومن ثم ، نقد أضطرت ، فدفعت قسطا كبيرا من حريتها ثمنا تحرز به حمايتها ، وغذاءها ٠٠ لعدرى !! ليس الأمر بهذه الغلظة ، ولاهو بهذا الجفاف !! ولكن ، لاضير ، فان ما ذكر يعطى صورة ، عن قاعدة التعامل ، فى بداياتها ، على وجه العموم ٠٠

يتضح من هذا الأستقراء اليسير ، أن قانون الانسان كلما أديل من قانون الغابة ، تصبح المرأة مستغنية عن حماية الرجل ٠٠ فلا تكون مضطرة ، من أجل الحماية ، أن تتنزل عن قسط كبير جدا من حريتها كثمن لهـا ٠٠ ذلك بأن الحماية ـــ حماية الرجل ، وحماية المرأة ـــ ستحال على القانون ، كما رأينا فى المثل الذى ضربناه ٠٠ ويومئذ تنتقل الفضيلة ، من قوة العضل ، الى قوة العقل ، وقوة الخلق ، ولن يكون حظ المرأة ، فى هذا الميدان ، حظا منقوصا ، وانما هى فيه مؤهلة لتبز كثيرا من الرجال ٠٠ وما يقال عن الحماية يقال عن النفقة التى هى سبب القوامة الثانى : «وبما أنفقوا من أموالهم» ٠٠ فانه ، فى المجتمع الذى تكون فيه الفضيلة لقوة العقل ، وقوة الخلق ، تتيسر المكاسب للضعاف ، كما تتيسر للأقوياء ، أو تكاد ٠٠ وفى القرآن آية عتيدة ، هى أس الرجاء لمستقبل المرأة ٠٠ « ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف ، وللرجال عليهن درجة ٠٠ والله عزيز حكيم » ٠٠

ولقد اسلفنا القول بأن المعروف هو ما تواضع عليه الناس ، نتيجة لتمرسهم بمشاكل الحياة ، ونتيجة ، تبعا لذلك ، لتطورهم فى مراقيها ، بشرط واحد ، هو الا يكون هذا المعروف الذى تواضعوا عليه معوقا لغرض من أغراض الدين ٠٠ وجماع أغراض الدين كرامة الانسان ٠٠ فنحن المسلمين ، اليوم ، بعد أن أنفقنا أربعة عشر قرنا من ممارسة الحياة ، ومن التطور معها ، أصبح عندنا من « المعروف » ان نعلم الفتاة فى أساليب العلوم الغربية ، والى أعلى المراحل ، حتى لقد أصبح عندنا الطبيبة ، والقاضية ، والمحامية ، والمعلمة

فى أعلى المستويات ، والهندسة ، والزراعية ، والبيطرية ، والأدارية ٠٠ ولقد انجزت فتياتنا ، فى كل أولئك ، انجازات تشرح الصدر ، وتقر العين ٠٠ ولا يمكن لعاقل ، أو لغير عاقل ، ان يزعم أن صنيعنا هذا بالفتاة من المنكر ، وليس من المعروف ، وبالطبع فان نهوض الفتاة بهـذا المستوى مـن الواجب يعطيها الفرصة فى التمتع بحق مساو له ٠٠ هذا هو معنى قوله تعالى : « لهن مثل الذى عليهن بالمعروف » ٠٠ حقوقهن لقاء واجباتهن ، « حذوك النعل بالنعل » ٠٠ هذا هو الحق والعدل وأما قوله : « وللرجال عليهن درجة » فهو لا يعنى فى هذا المستوى ، درجة التفضيل فى المساواة امام القانون ، وان وقع التفضيل بالدرجة فى منطقة الاخلاق ٠٠ ومهما يكن من الأمر ، فليس مطلق رجل أفضل من مطلق امرأة ٠٠ هذا ما لا ينبغى ، ولا يكون ، والواقع المعاش يرفضه ٠٠

والآن فانا ، بفضل الله ، تم بفضل هـذا « المعـروف » الذى تواضعنا عليه ، والذى أملته علينا طبيعة الحياة المعاصرة ، حيث أخـذنا بتعليم الفتاة فى أعلى المراحل ، قد اصبحنا نعيش تناقضا واضحا مع شريعتنا السلفية ٠٠ لدينا اليوم ، فى الخرطوم ، قاضية شرعية ، تخرجت مـن كلية الحقـوق ، بجامعة الخرطوم ٠٠ وهذا يعنى أنها تمارس ، أو من حقها ان تمارس حقها فى تطبيق الشريعة الأسلامية على المتحاكمين اليها ، على قدم المساواة مع زميلها الـذى تخرج معها ٠٠ ولكن هذه الشريعة تقول ان شهادة هذه القاضية انما هى على النصف من شهادة زميلها هذا ٠٠ اكثر من هذا ! ! فان شهادتها انما هى علـى النصف من شهادة رجل الشارع ! ! فهل هذا قول سليم ؟؟ لعمرى ! ! ان الخلل ليس فى الدين ، ولكنه انما هـو فى العقول التى لا يحركها مثل هـذا التناقض لتدرك ان فى الأمر سرا ٠٠ هذا السر هو ببساطة شديدة ، ان شريعتنا السلفية مرحلية ٠٠ وانها لا تستقيم مـع قامة الحياة المعاصرة ٠٠ وانهـا ، لتستطيع استيعاب هـذه الحياة ، وتوجيه طاقتها الكبيرة ، لابد لها مـن ان تتفتق ، وتتطور ، وترتفع من فروع القرآن الى أصوله ٠٠ هذا ما تعطيه بداءة العقول ،

بله حكمة الدين •• فانه ، الا يكن هذا الأمر الذى نزعمه صحيحا ، يكن الدين قد استنفد أغراضه ، وأصبح عاجزا عن التصدى لتحديات الحياة المعاصرة •• وهذا ما لا يقول به رجل أوتى أبسط الألمام باصول الدين ••

الأسلام والسلام ••

ان حاجة العالم اليوم للأسلام هى حاجته الى السلام •• وتلك حاجة « حياة » أو « موت » •• والأسلام دين السلام •• هو رسالته ، وهو جوهره •• قال المعصوم : « لكل شىء قلب ، وقلب القرآن « يسن » •• و « يسن » لها قلب » •• وقد عرف العارفون أن قلب «يسن» انما هو قوله تعالى : « سلام قولا من رب رحيم » •• وتحية الأسلام ، حين يلقى المسلمون بعضهم بعضا ، وحين يلقون غيرهم ، فى جميع أوقات اليوم أو الليل ، وفى جميع الأمكنة انما هى قولهم : « السلام عليكم » •• ومن حديث المعصوم ان خير الناس من «أطعم الطعام وأفشى السلام ، وصلى بالليل والناس نيام» •• وغرض العبادة فى الأسلام تحقيق السلام الداخلى ، فى كل نفس بشرية •• سلام مع الله وسلام مع النفس وسلام مع الناس — مع الأحياء والاشياء — وفى حديث المعصوم : « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده » •• وحين تعنى كلمة «المسلمون» هنا ، المسلمين بالأسلام العام — وهو معنى غير مستبعد من الصورة — بل هو معنى حاضر فى الصورة — يصبح نص الحديث : « المسلم من سلم الناس من لسانه ويده » — المسلم من سلمت الأحياء والأشياء من لسانه ويده — لان طريق العبادة ، فى تحقيق السلام الداخلى ، هو تحقيق الحرية الفردية المطلقة •• والحر ، فى هذا المستوى ، هو الذى يفكر كما يريد ، ويقول كما يفكر ، ويعمل كما يقول ، ثم لا تكون نتيجة قوله ، وعمله ، الا خيرا ، وبرا ، بالأحياء ، وبالأشياء •• فهو بذلك يكون قد احرز وحدته الداخلية ، وهذه الوحدة الداخلية هى ثمرة التوحيد ، وهى هى السلام •• وموعود هذا

الدين هو الظهور على الأديان كلها ٠٠ يقول تعالى فى ذلك : « هو الذى أرسل رسوله بالهدى ، ودين الحق ، ليظهره على الدين كله ٠٠ وكفى بالله شهيدا » ٠٠ وهو ، انما يظهر على الأديان ، لمقدرته الفريدة على تحقيق السلام فى كل نفس بشرية ٠٠ ومن ثم ، تحقيق السلام فى الأرض ، بملئها عدلا ، كما ملئت جوراً ٠٠ وانما تجيئه هذه المقدرة التي يتميز بها على جميع الأديان، وعلى جميع الفلسفات الأجتماعيات الأخريات ، من مقدرته على التوفيق بين حاجة الفرد الى الحرية الفردية المطلقة ، وحاجة الجماعة الى العدالة الاجتماعية الشاملة ٠٠ والأرضية التى يقوم عليها هذا الأنجاز انما هى شريعة الديمقراطية والاشتراكية يجتمعان فى جهاز واحد ، اذ هما كجناحى الطائر ٠٠ فكما ان الطائر لا ينهض بجناح واحد ، فكذلك المجتمع السوى ، الذى ينجب الأحرار ، فانه لا ينهض الا بجناحين ، من ديمقراطية ، واشتراكية ٠٠

وبالديمقراطية والأشتراكية ، مجتمعتين ، يتم الخروج من شريعة الغابة ، حيث الحق للقوى ، ويبدأ الدخول فى شريعة الأنسان ، حيث للضعيف حق ، ينص عليه القانون ، ويطبقه القضاء ، وتنفذه السلطة ٠٠ وحين حض الأسلام ، فى فروعه ، على القتال فى سبيل المستضعفين ، لنصرة حقهم بالسيف فقال : « ومالكم لا تقاتلون فى سبيل الله ، والمستضعفين ، من الرجال ، والنساء ، والولدان ، الذين يقولون : ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها٠٠

واجعل لنا من لدنك وليا ، واجعل لنا من لدنك نصيرا ٠٠ » انما أراد من نصرة السيف لحق الضعفاء ان تكون مقدمة لنصرتهم بالقانون ٠٠ فان السيف هو لغة الحرب ، والقانون هو لغة السلام ٠٠ ولقد استجاب الله للمستضعفين دعاءهم حيث قالوا : « واجعل لنا من لدنك وليا ، واجعل لنا من لدنك نصيرا ٠٠ » ٠٠ وما يكون من « لدن » الله لا يكون حربا ، وانما يكون سلاما ٠٠ وهذه اشارة الى حكم القانون الذى يعقب حكم السيف ٠٠.

قانون الأنسان يدال له من قانون الغابة •• يقول تعالى فى وعده المستضعفين النصر : « ونريد ان نمن على الذين استضعفوا فى الأرض ، ونجعلهم أئمة ، ونجعلهم الوارثين » •• والمرأة ، وهى اكبر من لستضعف فى الأرض ، عبر التاريخ ، لا فرصة لها فى النصفة الا يوم تقوم شريعة الأنسان ، على انقاض شريعة الغابة ••

الدستور الأسلامى ••

وأول شريعة الأنسان ، وأدناها منزلة القانون الدستورى •• والقانون الدستورى هو تفريع على الدستور •• والدستور هو القانون الأساسى •• وهو ، انما سمى القانون الأساسى ، لانه ينص على الحقوق الاساسية •• والحقوق الاساسية ، انما سميت حقوقا أساسية ، لأنها لا تمنح ، ولا تسلب ، فى شريعة الانسان ، بغير حق •• وهى حق الحياة ، وحق الحرية ، وما يتفرع عليهما ، أساسا ، مما هو مكمل لهما ، وحافظ لهما

وجوهر القانون الاساسى — جوهر الدستور — هو رفع الوصاية عن الراشدين من الرجال والنساء •• فلا وصاية الا على الأطفال •• فان فيه كل فرد بشرى ، من رجل أو امرأة ، انما هو غاية فى ذاته ، ولا يصح ، بحال من الأحوال ، ان يجعل وسيلة لغيره •• وهذه النظرة الأساسية تؤخذ من أصل أصول القرآن •• وهو أصل الفردية •• فان المسئولية ، فى أصل الأسلام ، انما هى مسئولية فردية •• فنحن ، فى الأساس ، مكلفون بالعبودية لله ، ومسئولون أمام الله عن تحقيق هذه العبودية •• ولا تنصب موازين المسئوليه ، يوم تنصب ، الا لكل فرد على حدة يقول تعالى : « ولقد جئتمونا فرادى ، كما خلقناكم أول مرة » •• ويقول تعالى : « ونرثه ما يقول ويأتينا فردا » •• ويقول تعالى : « ان كل من فى السموات والأرض ، الا آتى الرحمن عبدا ❋ لقد أحصاهم ، وعدهم عدا ❋ وكلهم آتيه ، يوم القيامة ، فردا » •• ويقول تعالى فى مبدأ المسئولية الفردية : « يوم تأتى كل نفس

تجادل عن نفسها •• وتوفى كل نفس ما عملت •• وهم لا يظلمون » ••
ويقول : « كل نفس بما كسبت رهينة » •• ويقول أيضا فى تقرير مبدأ المسئولية الفردية : « ولا تزر وازرة وزر أخرى ، وان تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه شيء ، ولو كان ذا قربى •• انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب ، وأقاموا الصلاة ، ومن تزكى فانما يتزكى لنفسه ، والى الله المصير •• » ويقول ايضا : « يوم لا تملك نفس لنفس شيئا •• والأمر يومئذ لله •• » فليس للرجل ان يحمل عن المرأة مسئوليتها ، ولا للمرأة ان تحمل عنه مسئوليته •• فما الذى أوجب النزول عن مستوى مبدأ المسئولية الفردية الكاملة الى مستوى الوصاية ـ المسئولية الفردية المنقوصة ؟؟

الجواب : هو حكم الوقت ، فقد كان الرجال قاصرين •• والنساء ؟؟ من باب أولى !! وقد بينا ذلك عند الحديث عن الآيات المكية التى استمر نزولها ثلاث عشرة سنة على مجتمع الجاهليين ، حتى اذا ظهر قصورهم عمليا عن النهوض لمستوى المسئولية الكاملة ، سحبت آيات الأصول هذه ، واستبدلت بآيات الفروع ـ الآيات المدنية ـ ونزل ، بهذا ، الأستبدال ، الى مستوى الناس يومئذ ، وقامت الوصاية مقام المسئولية التامة •• ولن تنتهى الوصاية ، لا على الرجال ، ولا على النساء •• ولكنها ستحال على القانون الدستورى •• فيكون القانون هو الوصى على الرشد من رجال ، ومن نساء •• لأن علامة الرشد هى تحمل المسئولية فلكأن الرجال احرار ، والنساء ، فى ان يفكروا ، وان يقولوا ، وان يعملوا كما يشاءون ، بشرط واحد ، هو : ان يتحملوا مسئولية قولهم ، وعملهم ، وفق قانون دستورى ، والقانون الدستورى ، فى هذا المقام ، هو القانون الذى يوفق ، فى سياق واحد ، بين حاجة الفرد ، وحاجة الجماعة ، ويقيم الجماعة مقام الوسيلة لا تتعداها •• ويضع الفرد موضع الغاية من كل سعى الحياة ، لا ينحط عنها •• ولا أمل للمستضعفين ، من رجال ، ومن نساء ، ومن أطفال ، فى الحرية ، والكرامة ، والمسئولية ، الا

بهذا القانون •• ولا أمل فى هذا القانون الا عن طريق الدستور الأسلامى ••
ولا سبيل الى الدستور الأسلامى الا يبعث آيات الأصول لتكون هى صاحبة الوقت ، اليوم ، بعد ان كانت منسوخة ، أمس •• ذلك بان الدستور الأسلامى ليس فى الشريعة الأسلامية ، وانما هو فى أصول الدين •• وهو ليس فى الشريعة الأسلامية لسبب واحد ، بسيط ، هو أن الشريعة الأسلامية ، التى بين أيدينا اليوم ، انما قامت على الوصاية ، كما بينا ، وليس فى الوصاية دستور ، على الأطلاق ••

المساواة بين الرجال والنساء ••

يخطىء كثير من الناس فهم معنى المساواة بين الرجال والنساء ، فيظنون ان المساواة تقوم على المقدرة المتساوية على قوة الأحتمال ، وشدة الأسر ، حتى انك لتسمع بعض للناس فى المركبات العامة ينهون بعض الشبان عن ان يتركوا مقاعدهم لبعض النساء ، ممن لا يجدن مقاعد ، فيظللن قائمات فى المركبة •• ثم هم انما يبررون هذا النهى بقولهم : « لا تقوموا لهن فانهن يطالبن بالمساواة مع الرجال » •• وهذا فهم خاطىء ، خطأ أساسيا •• فان المساواة ، بين الرجال والنساء ، ليست مساواة الميزان ، والمسطرة •• وانما هى مساواة القيمة •• ومعنى ذلك ان المرأة ، فى نفسها ، كأنسان ، وفى المجتمع ، كمواطنة ، ذات قيمة مساوية لقيمة الرجل ، فى نفسه ، كأنسان ، وفى المجتمع ، كمواطن •• وهذه المساواة تقوم وان وقع الاختلاف فى الخصائص ، النفسية ، والعضوية ، فى بنية الرجال والنساء •• وهى تقوم ، وان اختلفت الوظيفة الأجتماعية ، وميدان الخدمة للمجتمع ، الذى يتحرك فيه الرجال والنساء ••

ان النظرة المادية للأمور ، هذه النظرة التى هى سمة المدنية الغربية الحاضرة ، هى التى طوعت لهذا الخطأ المؤسف ان يتركز فى اذهان الناس ••

ذلك بان قيمة الأنسان ، فى هذه المدنية ، هى قيمة ما ينتج من آلات الأنتاج ، ومن ادوات الأستهلاك •• فعندما بدأت الرأسمالية تتبلور فى الاقطاع ، والصناعة ، وفى الصناعة بشكل خاص ، كان استغلال النساء ، والصبيان ، وسائر العمال ، يجرى بصورة بشعة •• فقد كانت ساعات العمل طويلة ، وكانت الأجور زهيدة •• فلكأنما العامل انما كان يعطى الأجر الذى يحفظ الحياة عليه ، ويعطيه القدرة على مواصلة الأنتاج ، من أجل صاحب المصنع ، أو صاحب المزرعة •• ومن هذا المستوى بدأ الصراع ، بين العمال والعاملات من جانب ، وأصحاب العمل من الجانب الآخر •• وأخذت التنظيمات العمالية تظهر ، وتنتظم ، وتنضبط ، وتناضل •• وأخذت المرأة ، وهى مشمولة فى هذا التنظيم ، تتطلع الى منافسة الرجل ، وتطمح الى المساواة معه فى الأجر •• ومعلوم ، ومقدر ، ان شعار الانتاج الطبيعى ان الأجر المتساوى لا يكون الا للعمل المتساوى •• ومن ههنا ، ومن وقت بعيد ، بدأ مفهوم المساواة الخاطىء يجد طريقه الى الأذهان •• ولم تغير الأشتراكية التى جاءت بالثورة السوفيتية فى هذا المفهوم الخاطىء ، بل مدت له ، وعمقته •• ولا غرو ، فى ذلك !! فان القاعدة المشتركة بين الرأسمالية والأشتراكية الماركسية انما هى النظرة المادية •• واليوم فانه ، فى الدول الأشتراكية ، لا تعرف للمرأة كرامة الا ان كانت مستقلة اقتصاديا •• وهذا يعنى عندهم ، ان تكون امرأة عاملة فى ميادين الأنتاج التقليدية ، وفى الحركة الشيوعية كلها تظهر حركة المرأة وكأنها قضية عمل ، وانتاج •• فاتجهت المرأة اتجاه الرجال حتى استرجلت ، أو كادت •• ويحدثنا باحث اجتماعى ، هو فرانك لوريمر ، ان اشتغال نساء الاتحاد السوفيتى بالأعمال الشاقة قد تسبب فى زيادة فى الأجهاض ، وزيادة فى انخفاض الخصوبة فى النساء •• وهذا عندنا أمر طبيعى ما دامت الدولة لا تدخل فى تقييمها الاقتصادى عمل المرأة فى المنزل •• فالمرأة السوية ، التى تتجه الى ممارسة وظيفتها

الأساسية ، فى انجاب الأطفال ، وتكوين الاسر ، ورعاية شئونها فى بيوت سعيدة ، انما تقوم بذلك على حساب راحتها ، وصحتها •• ذلك بان الدولة لا تعتبر هذا العمل انتاجا يقاس الى انتاج أدوات الأستهلاك •• فهى مطلوب منها أساسا ان تؤدى ساعات عملها كما يؤديها زوجها ، ثم اذا هما رجعا للمنزل ، يكون من حظ زوجها ان يرتاح ، ويكون من حظها هى ان تواصل العمل فيما يحتاج اليه منزلهما المشترك ، من خدمة ضرورية ، ومن عناية بالاطفال •• ومثل هذا الشقاء تكون له نتيجة نفسية واحدة ، محتمة ، هى الرغبة عن كثرة انجاب الأطفال •• وهذا الميل النفسى يترك أثرا عضويا هو انخفاض الخصوبة ••

ان الاشتراكية السليمة يجب ان تدخل قيماً جديدة فى التقدير •• وتلك هى القيم التى تجعل المادة وسيلة الأنسان الى الحرية ، لا بديلا عن الحرية •• اذ ليس بالخبز وحده يحيا الانسان ••

فاذا ما دخلت هذه النظرة التقييمية الجديدة فان الأنسان سيكون سيد الآلة ، وليس خادمها •• وستكون المرأة المنتجة ، وفى القمة ، هى المرأة التى تنجب الأطفال ، وتعنى بهم ، كماً ، وكيفاً •• وستكون هى أولى بالتكريم من العلماء ، والفنيين الذين يعملون فى انتاج الطائرات ، والصواريخ •• وهى ، من ثم تستحق من المجتمع المكافأة الأدبية ، والمادية التى بها تتحقق ، وتتوكد ، كرامتها ••

المرأة مكانها البيت

كثيراً ما نسمع الناس يقولون : المرأة مكانها البيت •• وهى قولة حق أريد بها باطل •• هم يريدون بها الى الحجاب •• وعدم السماح للمرأة ان تخرج ، لا للعمل ولا للنزهة •• والحق فى هذه العبارة : انا يجب ان نتعاون ، رجالا ونساء ، على اعادة تكوين البيت ، ليكون مكانا للسعادة ،

والحب ، ورضا النفس ، يجد فيه الرجل ، والمرأة ، والأطفال ، دفء الحب ، وبرد السلام •• ويجب ان تكون المرأة فيه الملكة ، لا الخادمة •• فهي المنجبة للأطفال ، والمشرفة على الأطفال ، والمربية والمهذبة ، للاطفال ، ليكونوا نماذج عالية فى الخلق ، والذكاء ، والكفاية الذاتية •• وهي ، فوق ذلك كله ، وقبل ذلك كله ، مرفأ الأمان لزوجها يستظل بظلها ، ويجد فى حبها ، وفهمها ، ما يقوى به على حسن خدمة الجماعة ، وعلى قطع درجات الكمالات الذاتية حتى يرقيا المراقى ، سمتاً فوق سمت ، الى منازل الكمال المقدور لهما ••

واذا ما عرفنا للبيت هذا المقام فان قولنا : « المرأة مكانها البيت » سيلقى علينا واجب تعليم الفتيات فى أعلى مراحل التعليم ، واعدادهن عقليا ، وخلقيا ، ونفسيا ، وجسديا ، الى المستوى الذى يرفع عنهن الوصاية ، ويجعلهن مسئولات ، مسئولية تامة ، أمام القانون ، كمسئولية شقائقهن الرجال ، لا وكس ، ولا شطط •• وعلى وفق مستوى هذه المسئولية يكون حقهن فى الحرية ، والكرامة : « لهن مثل الذى عليهن بالمعروف » هذا فى منطقة القانون •• « وللرجال عليهن درجة » هذا فى منطقة الأخلاق •• حيث يقع التفاوت بين الرجال ، فيما بينهم ، وبين النساء ، فيما بينهن ، وبين بعض النساء وبعض الرجال ، ثم لا ينسحب هذا التفاوت من منطقة الأخلاق على منطقة القانون ، فيؤثر على الحقوق ، والواجبات ، كما هو الشأن فى ظل الشريعة السلفية •• ذلك بان منطقة الأخلاق هى فوق مستوى القوانين •• والمراقب لها هو الله •• والمكافىء على الحسنة فيها هو الله •• والمجازى على السيئة فيها هو الله •• وذلك : « يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها ، وتوفى كل نفس ما عملت ، وهم لا يظلمون •• » هل احتاج ان اقول ان هذا لا يعنى ان الله لا يجازى المحسن ، والمسىء ، فى منطقة القانون ، وانما يتركهما لنا ، وانما هو يعنى اننا لا نجازى ، أو قد لا نجازى ، المحسن ، والمسىء ، فى منطقة الأخلاق ،

وانما نتركهما له •• ذلك بان للأحسان ، وللاساءة ، فى منطقة الأخــــلاق ، موازين أدق من موازيننا ••

ويستقيم أيضا مـع اعادة تقييمنا للمنزل ان المـرأة قد تعمل خــارج المنزل اذا كانت تستطيع التوفيق بين العمل وادارة المنزل •• (ولكنها علـى التحقيق ، لـن تعمل فى الأعمال الشاقة ، العنيفة ، التى يجب ان ينفرد بهـا الرجـال) •• ذلـك ان بالعمل ينضـبط الفكر ، وتتعمق التجربة وتنضـج الشخصية •• هـذا الى عديد القيم التى تكسبها ممارسة العمـل المرأة ، مما تحتاجه فى خـدمة مجتمعها ، وبيتها ، وأطفالها ، ومما تحتاجه فى تحـرير مواهبها التى بها ارتقاؤها ، وكمالها الذاتى •• هـذا وللمرأة ميادين عمـل ، قد خلقت وهى مهيأة لهـا ، اكثر مـن غـيرها •• فينبغى اعـدادها لها مهنيا ، وفنيا ، كميادين التعليم فى جميع مستوياته ، والطب ، وطب الأطفال والنساء ، بصورة خاصة ، وكالتمريض ، والقانون ، وتولى القضاء ، وبخاصة فى محاكم اصلاح الأحداث •• فان المجتمع قد يجد خـدمة أفضل حين تتولى المرأة هذه الميادين ، اذا ما قورنت بالرجل ••

خـاتمـة التوطئـة

هذه توطئة للبحث قد طالت ••• ولم يكن مـن طولها بد •• لأنها انما اريد بها الى اعداد المسرح الذى تتحرك فيه صـور القـوانين المتطـورة ، تطورا قد يخيل للرائى أنه قفزة ، وماهو بالقفزة ، تماما •• ولكنما هو خلاصة الفضائل التى استجمعت خلال تطـور المجتمع البشرى الطـويل ، فى طـريق مملوء بالدماء ، والدموع ، والعرق •• هو حصيلة هـذا المجهود •• وهـو ، بذلك ، يمثل الخروج من طور ، والدخول فى طـور جديد •• هو يمثل الخروج من اخريات طور قانون الغابة الذى نعيشه اليوم ، حيث لا تزال القـوانين تتأثر برغبة الأقوياء ضد مصلحة الضعفاء ، والدخـول على طـور قانون الأنسان ، حيث القـوانين دستورية ، وهى بذلك قسط موزون لا يطمع فيها القوى ، ولا ييأس منها الضعيف ، وانما هى العـدل ، والمرحمة ، والخـير

للأحياء وللاشياء •• والذى يهمنا ان نختتم به هـــذه التوطئة أمران : الأمر الأول هو ان نقرر ان الأنسان ، من حيث هو انسان ، بصرف النظر عن ملته ، أو لـــونه ، أو لغته ، أو عنصره أو اقليمه ، لا أمـل له فى الكـــرامة ، لا فى دنياه ، ولا فى آخـــرته ، الا بالأســـــلام •• والأمـــر الثانى هـــو ان نبشر المستضعفين فى الأرض ــ النساء ، والأطفال ، وسواد الرجال ــ ان موعـــود الله آت ، وذلك حيث يقول : « ونريد ان نمن علــــى الذين اســـتضعفوا فى الأرض ، ونجعلهم أئمة ، ونجعلهم الوارثين » •• ولكـــن يجب ان يكـــون واضحاً لهؤلاء ان موعود كرامتهم انما هـــو فى أصول الاســــــلام ، لا فى فروعه ، ذلـــك بان فـــروع الاسلام مرحلة وصاية •• وهى مرحلة انما أريد بها الى ان تكون مرحلة أنتقال ، يترشد خـــلالها القصر ليستأهلوا أصـــــول الأسلام •• وأصول الأسلام مرتبة مسئولية •• وهذا هو الذى جعلها تؤكد على الفردية •• فالفرد حر ، ومسئول عـــــن حسن تصرفه فى الحرية ، فاذا أخطأ فى التصرف صودرت حريته بقانون •• وليس غرض القانون الانتقام ، وانما غرضه التربية ، لكل رجل ، ولكل امرأة ، ليتحقق لكـــل منهما حســـــن التصرف فى الممارسة المقبلة •• وهذا ما سمى بالقانون الدســـــتورى •• لا وصاية فى ظل أصول الأسلام الا لهـــذا القانون •• القانون الدستورى هـــو الوصى •• هو وصى على الرجال ، والنساء على حد سواء ••

فـــاذا كـــانت المـــــرأة ، والمثقفـــة منهـــا بشــــــكل خـــاص ، وهى تعتبر خـــير ممثـــل للمســـــــتضعفين فى الأرض ، تهمها كــــرامتها ، وكرامة أطفالها ، فعليها ان تتمسك بتطوير الشريعة الأسلامية ، من فروعهـــا الى أصولها •• لا يثنيها عن هذا التمسك وعد ، ولا وعيد ••

هل تريدون الحق ؟؟ اذن فاسمعوا !!

لا كرامة لمطلق حى على هذا الكوكب ، الا ببعث أصول الأســــلام •• الا ببعث آيات الأصول التى كانت منسوخة ، ونسخ آيات الفـــروع التى كانت ناسخة فى القرن السابع •• فليستيقن هـــذا رجال المسلمين ونساؤهم ،

الزواج

الزواج فى الحقيقة :

هناك زواج فى « الحقيقة » •• وهناك زواج فى « الشريعة » •• فاما ، فى (الحقيقة) فان زوجتك هى صنو نفسك •• هى شـــقيقة نفسك •• هى انبثاق نفسك عنك خارجك •• وهى ، بذلك ، جماع آيات الآفاق لك •• والى ذلك الأشارة بقوله تعالى : « سنريهم آياتنا ، فى الآفــاق ، وفى انفســـهم ، حتى يتبين لهم انه الحق •• أولم يكف بربك انه على كل شىء شهيد ؟؟ »•• ومايقال ، فى هذا المستوى ، عن موضع الزوجة من الزوج ، يقال عن موضع الزوج من الله •• فالزوجة هى أول تنزل من الوحدانية الحادثة الى الثنائية •• هـــذه هى الزوجة فى « الحقيقة » : « يأيها الناس اتقـــوا ربكم ، الـــذى خلقكم من نفس واحـــدة ، وخلق منها زوجهـــا ، وبث منهما رجـــالا كثيراً ، ونساء •• واتقوا الله الذى تساءلون به ، والأرحـــام •• ان الله كان عليكم رقيباً » •• وهـــذه النفس الواحـــدة هى ، فى أول الأمر ، وفى بدء التنزل ، نفس الله ، تبارك وتعـــالى — هى الذات القديمة التى منها تنزلت الذات الحادثة ، وتلك هى الأنســـان الكامل (الحقيقة المحمدية) •• والأنســـان الكامل هـــو أول قابل لتجليات أنوار الذات القديمة — الذات الألهية — وهو ، من ثم ، زوجها •• وانما كان الأنسان الكامل زوج الله لأنه انما هو فى مقـــام العبودية •• ومقام العبودية مقام انفعال ، فى حين ان مقام الربوبية مقـــام فعل •• فالرب فاعل ، والعبد منفعل •• ثم تنزلت من الأنســـان الكـــامل زوجته •• فكان مقامها منه ، مقامه ، هـــو ، من الذات •• فهى منفعلة ، وهو فاعل •• وهذا هو ، فى الحقيقة ، مستوى العـــلاقة « الجنسية » بين الرجل والمرأة •• وقد خلـــق الله تبارك ، وتعالى ، من كل شىء زوجين ، اثنين •• والحكمة فى خلق الزوجين هى ان تستطيع العقول ان تدرك الأشـــياء •• لأن

العقول انما برزت بالثنائية ، ولا مجال لها فى الادراك فى مرتبة الوحدة المطلقة •• قال تعالى ، عن حكمة خلق الأزواج : « ومن كل شىء خلقنا زوجين ، لعلكم تذكرون » •• هذه هى العلة فى خلق الزوجين : « لعلكم تذكرون » •• و « تذكرون » هنا تعنى تميزون ، وتعلمون •• وانما سمى (العلم) تذكراً ، لأننا ، فى الواقع لا نتعلم شيئا مستأنفاً ، وانما نحن فقط نتذكر ما قد نسينا •• ذلك بأن فينا ، مركوزة ، الحقيقة الأزلية ــ الذات المطلقة ــ ولكنا نسيناها ، فجاء القرآن ، بتشاريعه فى العبادة ، وفى العادة ، ليذكرنا بهذه « الحقيقة » التى نسيناها : « ولقد يسرنا القرآن للذكر ❊ فهل من مدكر ؟ » •• والى خلق الأزواج كلها أشار ، تبارك وتعالى ، بقوله : « سبحان الذى خلق الأزواج كلها ، مما تنبت الأرض ، ومن أنفسهم ، ومما لا يعلمون » •• « ومما لا يعلمون » هذه ، تحوى الأشارة الى زوج الذات الحادثة « ومن انفسهم » هذه ، تحوى العبارة عن أزواجنا ــ المرأة ــ و « مما تنبت الأرض » هذه ، تحوى الأشارة الى كل شىء •• وحين يكون انجاب الذرية هو نتيجة العلاقة « الجنسية » بيننا وبين نسائنا : « وبث منهما رجالا كثيراً ، ونساء » ، تكون ثمرة العلاقة بين الذات القديمة وزوجها ــ الأنسان الكامل ــ المعارف اللدنية •• فان أنفعال العبودية للربوبية يرفع الحجب التى أنستنا النفس التى هى أصلنا ــ نفس الله ، تبارك ، وتعالى : « يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة » •• وحين يتم اللقاء بين هذين الزوجين ــ الذات الألهية ، والأنسان الكامل ــ ينبث العلم اللدنى ، فى فيض يغمر العبد العالم من جميع اقطاره •• ومن هذا العلم •• اللدنى رجال ، ونساء ، « وتلك الأمثال نضربها للناس ، وما يعقلها الا العالمون » •• فهذا الوضع بين الذات الألهية ، والأنسان الكامل ــ انفعال العبودية بالربوبية ــ هو الذى جاء الوضع منه بين الرجال والنساء ــ انفعال الأنوثة بالذكوره •• وهو ما يسمى عندنا ، بالعلاقة « الجنسية » ••

وهى علاقة عظيمة الشرف لأنها ، حين تقع بشريعتها بين الأطهار الرفعاء ، العارفين بالله ، تكون ثمرتها ، المباشرة تعميق الحياة ، واخصابها ، ووصلها بالله ، بغير حجاب •• وهذه هى ذروة اللذة •• وتكون ثمرتها ، شبه المباشرة ، المعارف اللدنية ، التى تفاض والتى تغمر الذكر ، والانثى ، اللذين تقع بينهما هذه المشاركة النظيفة الرفيعة •• ثم تكون ثمرتها ، غير المباشرة ، الذرية الصالحة من بنين وبنات : « وبث منهما رجالا كثيرا ، ونساء •• » •• وانما عنيت بالمباشرة المتصلة بالذات الألهية ، وشبه المباشرة ، التى تليها من حيث القرب من الذات ، وغير المباشرة التى تلى هذه •• ثم تتوالى اللذات فى التنزل كلذة الأستمتاع ، والانتفاع بالذرية الصالحة ، التى تكون قرة عين فى الدنيا والآخرة ••

ومن أجل شرف هذه العلاقة « الجنسية » الذى حاولنا أن نبينه فى الأسطر السابقات وقع شديد الحرص عليها فى الدين •• وهى اكبر مظهر للحياة فى مجال تعبيرها عن وجودها •• ومن أجل ذلك قامت على تنظيمها أول « شريعة » عرفها الأنسان ، ووقع عليها أول « كبت » فى العقل الباطن •• ومن أجل هذا «الكبت» الذى وقع فى « قاع » العقل شرع الرجم بالحجارة •• تصوب الى الدماغ ، عقوبة على مخالفة الممارسة •• وشدد فى أمر عقوبة الزنا على العموم : أكثر من ذلك !! شددت العقوبة على القاذف به غيره ان لم يستطع أن يثبته عليه •• فكان أدق حدين فى الأسلام حد الزنا ، وحد القذف •• قال تعالى : « والذين يرمون المحصنات ، ثم لم يأتوا باربعة شهداء ، فاجلدوهم ثمانين جلدة ، ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا ، وأولئك هم الفاسقون » بل أكثر من ذلك !! شدد فى زجر الخائضين فيه •• فقال : « ولولا فضل الله عليكم ، ورحمته فى الدنيا والآخرة ، لمسكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم ❋ اذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم ، وتحسبونه هينا ،

وهو عند الله عظيم ﴿ ولولا اذ سـمعتموه قلتم : ما يكـون لنا أن نتكلم بهـذا ، سبحانك ، هذا بهتان عظيم ﴿ يعظكم الله أن تعـودوا لمثله أبدا ، ان كنتم مؤمنين » ٠٠

وقال فى وعيده الذين يتهاونون فى هـذا الخوض : « ان الذين يرمون المحصنات ، الغافلات المؤمنات لعنوا فى الدنيا والآخرة ولهم عـذاب عظيم ﴿ يوم تشهد عليهم ألسنتهم ، وأيديهم ، وأرجلهـم ، بمـا كانوا يعملون » ٠٠ بل أكثر من ذلك !! فانه توعد ، أشد الوعيد ، الذين يسمحون لخـواطرهم أن تجول فى نسبة الزنا للآخرين ٠٠ فقال ، تبارك ، وتعالى : « ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم ، فى الدنيا والآخرة ، والله يعلم ، وأنتم لا تعلمون » ٠٠ ولم ينه الله ، تبارك ، وتعـالى ، عـن مقارفة الزنا نفسه ، بل نهى حتى عن مقاربته فقال ، عز من قائل : «ولا تقربوا الزنا ٠ انه كان فاحشة ، وساء سبيلا » ٠٠ ولخطر هذا الجرم عنده شـدد فى اثباته ، تشديداً يجعله فى حكم المستحيل ٠٠ ويكفى أن يقال انه لم يقـع ، فى طـول تاريخ الأسلام ، اثبات شرعى لجريمة الزنا : وما وقع فيه مـن اقامة الحدود لم يقع الا بالأعتراف ٠٠ ثم يجىء التشديد من جانب المعصـوم ٠٠ فيقول : «لايزنى الزانى ، حين يزنى ، وهو مؤمن» ٠٠ وهذا أمر فى غاية الخطورة ٠٠ ذلك بأن هـذا الحديث أنما يعنى ان الأيمان يرفع عن المؤمن ، لحظة المقارفة ، حتى أنه لومات فيها مات على غـير الايمان ٠٠ ويقول المعصوم ، فى هـذا التشديد أيضا ، « يا أمة محمد !! والله ما أحد أغير من الله ، أن يزنى عبده ، أو تزنى أمته ٠٠ يا أمة محمد !! والله لو تعلمون ما أعلـم ، لبكيتم كثـيرا ، ولضحكتم قليلا ٠٠ » ٠٠

هـذا قليل ، من كثير ، يقال فى احاطة هذه العلاقة الرفيعة ، بين الرجل والمرأة ، بأسباب الصيانة ، والحفظ ٠٠ وهى ، لمكان كرامتها ، وعظيم أثرهـا فى حياتنا ، لا يحفظ علينا صـونها الا الله ٠٠ قال تعالى فى ذلك : « يأيهـا

الذين آمنوا !! لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يأمر بالفحشاء ، والمنكر •• ولولا فضل الله عليكم ، ورحمته ، ما زكى منكم من أحد أبدا ، ولكن الله يزكى من يشـــاء •• والله ســـــميع عليم •• » •• قـــوله : « فانه يأمر بالفحشاء والمنكر •• » •• « الفحشـــاء » هنا الزنا •• « والمنكر » هنا اتهام الآخـــرين به •• قوله : « ولولا فضـــــل الله عليكم ، ورحمته ، مازكى منكم من أحد أبداً ولكن الله يزكى من يشاء •• » •• يعنى ما تطهر ، ولا تصون ، ولا تنظف من اوحال الممارسة ، غـير المشروعة أحـد أبدا •• قوله « ولكن الله يزكى مـــن يشاء » ، بشرى بعموم الزكاة •• فان العباد بها ، جميعا ، سيتزكون •• وجاءت العبارة فى الفاصلة بقوله : « والله سميع عليم » ، لتؤكد هذا المعنى الذى ذهبنا اليه •• فهـــو « سميع » لنداء الفروع التى تطلب الأصول وقد حجبتها عنها الخطيئة •• وهـــو « عليم » بطريق خلاصها مـــن الخطيئة ، لتعـــود الى وطنها فى الذات : « يأيهـــا الناس أتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة » •• وقد أسلفنا فى ذلك القـــول ••

وفى عجزنا عن صون أنفسنا ، ومجىء الصون من فضـــل الله علينا قـــال تعالى : « الرجال قوامون على النساء ، بما فضل الله ، بعضهم علـــى بعض ، وبما أنفقوا من أموالهم •• فالصالحات قانتات ، حافظات للغيب ، بما حفـــظ الله •• واللاتى تخـــافون نشوزهن فعظوهن ، واهجروهن فى المضـــــاجع واضربوهن •• فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن ســـــبيلا •• ان الله كان عليـــا كبيراً •• » •• قوله : « الرجال قوامون على النساء » يعنى أوصـــــياء ، متسلطون ، لهم عليهن حـــق الطاعة •• فان قلت ما هى الحكمة وراء هـــــذا التسليط ؟؟ قلنا : الحفظ ــ حفظ فروج النساء ــ هـــذا فى المرحلة •• ويجىء قـــوله تعـــــالى : « فالصـــــالحات قـــانتات حافظـــات للغيب » ، ومعنى الصـــالحات الطـــاهرات ، الصـــــينات •• ومعنى قانتات مطيعات لربهـــن ، ولأوليائهن من الرجال •• ومعنى « حافظات للغيب » ، حافظات لفـــروجهن

هذا الحفظ يكون بدوافع من طاعة الله ، والخوف من الله ، ويكـــون بطاعة الأولياء ، والخوف من الأولياء •• هذا جميعه فى المرحلة •• ثم تفضى المرحلة الى العفة ، والصيانة المضروبة على الرجال والنساء جميعا والتى أشار اليها ، تبارك ، وتعالى ، هنا اشـــارة لطيفة بقـــوله : « بما حفظ الله » •• ويطيب لى هنا أن أشير الى أس الرجاء فى هـــذه الآية لجميع النساء ، وذلـــك أنهن حين يبلغن هذا المبلغ من العفة ، والتصون ، ترفع وصـــاية الرجال عنهن ويكـــون اليهن ، فى ظل الله ، أمر القيام على انفسهن ، تحت وصاية القانون ••

الـــزواج فى الشـــريعـــة

اسلفنا القول عن الزواج فى « الحقيقة » ، وندخل الآن علـــى الزواج فى « الشريعة » •• ونبدأ بأن حواء قد كانت زوج آدم فى الحقيقة : « يأيهـــا الناس اتقـــوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحـــدة وخلق منها زوجها » •• ففى هذا المقام فان النفس الواحدة هى نفس آدم ، الأنسان الكامل ، الـــذى أقيم مقام الخلافة •• وانما كانت حواء زوج آدم ، فى هذا المقام ، لأنهـــا تنزل عنه •• « وخلق منها زوجها •• » •• فهى انبثاق نفسه عنـــه خـــارجه ، كما عبرنا آنفا •• ثم انه لما كان آدم أول رسول شريعة ، من رسل التوحيد ، فقد أراد الله له ، ولزوجه ، ان يكونا زوجين فى الشريعة •• ومن أجل ذلـــك فقد نهاه ان يتصل بها قبـــل ان تحلل له بالشريعة •• والى ذلك الأشـــارة بقـــوله : « ولا تقربا هذه الشجرة ، فتكونا من الظالمين » •• وقد جـــاءت هذه الأشارة فى سياق هو فى غاية الأمتاع ، والروعة •• يقول تعـــالى فيه : « ويا آدم اسكن ، أنت وزوجك ، الجنة ، فكلا من حيث شـــئتما ، ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ✻ فوســـوس لهما الشيطان ليبدى لهمـــا ما وورى عنهما من سوءاتهما ، وقال : مانهاكما ربكما عن هذه الشـــجرة الا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخـــالدين ✻ وقاســـمهما : انى لكمـــا لمـــن

الناصحين * فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما ســوءاتهما ، وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة ، وناداهما ربهما : ألم أنهكما عن تلكما الشجرة ، وأقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين ؟؟ * قالا : ربنا ظلمنا انفسنا ، وان لم تغفر لنا ، وترحمنا : لنكــونن مــن الخاسرين * قال : اهبطوا !! بعضكم ، لبعض عدو •• ولكم فى الأرض مستقر ، ومتاع الى حين * قال فيها تحيون ، وفيها تموتون ومنها تخرجون * يا بنى آدم !! قد انزلنا عليكم لباسا يوارى سوءاتكم وريشا ولباس التقوى •• ذلك خير •• ذلك من آيات الله •• لعلهم يذكرون * يا بنى آدم لا يفتننكم الشيطان ، كماأخرج أبويكم من الجنة ، ينزع عنهما لباســـهما ليريهما سوءاتهما •• انه يراكم ، هو ، وقبيله مــــن حيث لاترونهم •• انا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون » ••

لقد أوردنا هـــذه الآيات الكريمات فى كتابنا : « الرسالة الثانية مــن الاسلام » ، فى باب الحديث عن الحجاب •• وأوردنا الآية الأولى منها فى باب الحديث عن خطيئة آدم •• وتحدثنا شيئا يسيراً عن الشرح •• ونحــن نورد هذه الآيات الآن فى باب الحديث عن الزواج فى الشريعة • وقد نتحدث فيهــا بشىء يسير من التبسيط •• قوله « ويا آدم » يعنى الخليفة ، يعنى الأنسان الكامل « أسكن ، انت وزوجك » ، يعنى زوجك فى الحقيقة « الباطنة » ، والتى سيتم اقترانك بهــا فى شريعتك « الظاهرة » فتنطبق بذلــك الصنيع شريعتك ، وحقيقتك •• وظاهرك ، وباطنك •• ولكن قبل ان يتم هــذا الأقتران الشرعى يجب ان لا تقربها ، وقد وردت الأشارة اللطيفة الى ذلك بقوله : « ولا تقربا هذه الشجرة » فانكما ان تفعلا ، تكونا من « الظالمين » ، المعتدين علـــى حد الشرع •• وهـــذه اشارة الى أول الشرائع ، التى بدأ الأنسان يرتفع بها فى مراقى النفوس ، وجاءت منظمة للغريزة « الجنسية » •• وهى طرف مـــن الغريزة الوحيدة ــ غريزة « الحياة » وخادمتها الأولى •• وبهــذا التنظيم نهض التكليف ، الذى به أرتفع الانسان عــن الحيوان ، فخرج مــن النفس

الأمارة ودخل مرتبة النفس اللوامة ٠٠و « الشجرة » هنا لها درجات من المظاهر ٠٠ أولها ، وأدناها لآدم ، نفسه التي بين جنبيه ٠٠ ثم هي ، في تنزلها عنه ، شهوة نفسه هذه الى الجنس ٠٠ ثم هي حواء ٠٠ ثم هي شجرة التين ٠٠ فان شجرة التين انما هي رمز النفس الأمارة ٠٠ وانما نهى عنها لئلا تقوى بأكلها نفسه الحيوانية فتتكثف وتغلظ فلا تطيعه على التصعد بأتباع الأمر الشرعي ، وأجتناب النهي الشرعي ومن أجل هذه الحكمة ، نفسها ، نهينا ، نحن المسلمين ، عن أكل الدم المسفوح ، لأنه هو النفس ، واذا ما أكلناه اضفنا نفسا الى نفس ، فتطورنا في الكثافة بدلا من اللطافة ٠٠ وتسفلنا ، وأخلدنا الى الأرض ، بدلا من الترفع والتسامي ٠٠ وهو أيضا ما من أجله حرم علينا لحم الخنزير ٠٠ فان الخنزير ، بما جبل عليه من أخلاق الحرص والشره ، هو أيضا رمز النفس الأمارة ٠٠ ومن هذا الباب يجيء تحريم ما أهل لغير الله به ٠٠ وكذلك تحريم الميتة : « قل لا أجد ، فيما أوحى الي ، محرما على طاعم يطعمه ، الا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير ، فانه رجس ، أو فسقا أهل لغير الله به ٠٠ فمن أضطر غير باغ ، ولا عاد ، فان ربك غفور رحيم » فشجرة التين هي الشجرة المعنية في الظاهر ، فلما وقع الخلاف بأكلها تلاحقت حلقات السلسلة ، حتى وقع الخلاف بالماسة ٠٠ فتغشى زوجه بغير شريعة ٠٠ وحلقات هذه السلسلة المتلاحقة طويت في عبارة : « فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما » ٠٠ والأشارة بقوله : « بدت لهما سوآتهما » ، انما هي للأعضاء التناسلية ٠٠ فقد كانت محجوبة عنهما بنور البراءة ، والتقى فظهرت بظلام الأثم ، والمخالفة ٠٠ قوله « وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة » ، أشارة الى الحجاب ، الذي أملاه الخزي الذي صاحب الخطيئة ٠٠ وقد تحدثنا عن ذلك في موضعه من كتابنا « الرسالة الثانية من الأسلام » تحت عنوان « الحجاب ليس اصلا في الأسلام » ٠٠ والذي يهمنا من هذه الآيات التي أوردناها في هذا الباب هو سياقها في نفسه ٠٠ وشرح ما به الأشارة الى

الزواج فى الشريعة •• فلنكتف بهذا القدر ••

ونقرر هنا أن شريعة آدم فردية •• وهى طرف من حقيقته •• وانما وقعت خطيئته بمخالفة شريعته لقـــرب ما بين شريعته وحقيقته •• وعندما يسترد مقام الخلافة ، الذى فقد بالخطيئة تنطبق شريعة وحقيقة من يسترده ، وتكون زوجه فى «الحقيقة» هى زوجه فى «الشريعة» •• ومن هذا المقام جاء النص ، فى أصل الدين ، علـى الزوجه الواحـدة •• فليس فى أصل الدين الا هذه •• ثم تنزلت الشريعة ، من أصل الدين الى فرعه ، فجاء تعدد الزوجات •• فالشريعة ، على ذلك ، شريعتان •• شريعة فى الأصل ، وشريعة فى الفرع ••

الزواج فى شريعة الأصول :ـ

هناك شريعة تقوم على أصول الدين ، ومتعلقها آيات الأصول فهى منهـا تنبعث وعليها تستند •• والزواج ، فى هذه الشريعة ، يقوم علـى الكفاءة بين الرجل والمرأة •• الزواج هنا انما هو ترسيم للعلاقة القائمة فى «الحقيقة» •• زوجتك فيـه هى صنو نفسك •• ويمكن تعـريف الزواج هنا بأنه شراكة بين شريكين متكافئين ، ومتساويين فى الحقوق ، والواجبات ، لا تقع فيـه وصاية من الرجل على المرأة ، ولا من المرأة على الرجل ، فليس هناك وصاية علـى ايهما فيه الا وصاية يفرضها على كليهما القانون الدستورى •• هما يملكـان الدخول فى هذه الشراكة بالأصالة عن نفسيهما ، وبمطلق اختيارهما ، ولهمـا الحق «المتساوى» فى الخروج عنها ، •• فهما يتفقان ، حين يتفقان ، فتكون المحبة ، والمـودة ، والوفاق ، والسعادة •• وهمـا يتفقان ، حين يختلفان ـــ يتفقان على ان يختلفا ـــ فيكون فض الشراكة ، مـن غير ان يترك مرارة ، ولا عداء •• فيمارس حق الطـلاق فى سعة افق ، وطيبة نفس ، ليدخل كل مــن الشريكين فى تجربة جديدة ، مع شريك جديد ، عسى ان يهتدى بهذه التجـربة الجديدة لصنوه الحق ، أو الى قريب منه ، فلا تكون ، يومئذ ، بهما حاجة الى

ممارسة حق الطلاق ، وانما هو الوفاق ، والمحبة ، والسعادة ..

والحكمة فى شريعة الطلاق انما هى تصحيح الخطأ الذى كثيراً ما يقع نتيجة لعدم المقدرة على ، العثور على ، أو التمييز بين ، الشريك الحقيقى ، والشريك الذى قد يشبهه ، ثم لا يكون اياه .. وهذا العجز ، بفضل الله ، يتناقص دائما ، وتحل محله القدرة ، وذلك كلما ترقى الرجال ، والنساء ، وكلما قويت لديهما الأنوار التى بها يكون التمييز ، وتقع المطابقة .. من ههنا تنهض حكمة شريعة الطلاق ..

الزواج ، فى هذه الشريعة ، هو حظ العارفين ، الذين يتسامون به الى مستويات لا تدخلها معهم شريعة الطلاق .. لا لأنهم يمنعونها ، بالطبع ، ولكن لأنهم لا يحتاجونها .. وقد بينا كل هذا فى تفصيل واف فى كتابنا « الرسالة الثانية من الأسلام » تحت عنوان « الطلاق ليس أصلا فى الاسلام » ..

فى هذا الزواج ليس هنالك ولى ، ولا مهر .. وليس فيه تعدد زوجات .. والطلاق فيه حق من حقوق المرأة ، كما هو من حقوق الرجل .. ودخل الاسرة يملكه الشريكان ، حتى حين يكون عمل المرأة قد استغرقه « البيت » .. فليست النفقة منة من الرجل على المرأة ..

الزواج فى شريعة الفروع ..

شريعة الفروع هى موضوع الرسالة المحمدية .. ومتعلقها آيات الفروع .. فهى تنبعث منها ، وتعتمد عليها .. وشريعة الفروع شريعة مرحلية .. الحكمة منها نقلة المجتمع المتخلف ، الذى نزلت عليه ، ليتقدم ، حتى يستحق شريعة الأصول .. والحركة منها نحو شريعة الأصول ، حين يحين حينها ، هو الذى نسميه تطوير التشريع الأسلامى .. ومستوى شريعة الفروع هو مستوى الرسالة الأولى .. ومستوى شريعة الأصول هو مستوى الرسالة الثانية من الأسلام ، وهى الرسالة التى وظفنا حياتنا على التبشير بها ،

والتمهيد لها ، والدعوة اليها ..

الزواج ، فى هذه الشريعة ، فى تعريف بعض الفقهاء ، : « عقد يفيد حل استمتاع كل من العاقدين بالآخر ، على الوجه المشروع » .. أو انه : « عقد يرد على ملك المتعة قصدا » .. وهذا تعريف ، فى الفقه ، وهو قاصر عن التعريف ، فى الشريعة .. ومعروف قصور الفقه عن سماحة الشريعة ..

الزواج ، فى هذه الشريعة ، هو عقد بين طرفين ، غير متكافئين ، يملك فيه الطرف الراجح منهما حقوقاً اكثر مما يملك الطرف المرجوح .. والسبب فى رجحان حقوق الطرف الراجح ، انما هو رجحان عقله ، ودينه ، ومن ثم ، كثرة واجباته .. ولقد اشتملت على بعض هذه الحقوق هذه الآية الكريمة : « الرجال قوامون على النساء .. بما فضل الله بعضهم ، على بعض .. وبما أنفقوا من اموالهم .. فالصالحات قانتات ، حافظات للغيب ، بما حفظ الله .. واللاتى تخافون نشوزهن فعظوهن ، واهجروهن فى المضاجع ، واضربوهن .. فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا .. ان الله كان علياً كبيراً » .. فالعلاقة فيه بين الرجل والمرأة ليست علاقة تكافؤ ، ولا هى علاقة تسلط ، وانما هى علاقة رشيد جعل وصياً على قاصر ، وطلب منه ان يعينه على الرشد .. ولقد جاءت الفاصلة ، فى الآية الماضية ، بقوله ، تبارك ، وتعالى : «ان الله كان علياً كبيراً» ، لتتضمن هذا المعنى .. فكأنه قال : جعلنا لكم عليهن علو درجة ، فتذكروا ان علو الدرجات لله .. فان حدثتكم نفوسكم بالاستعلاء عليهن ، والتسلط ، ومعاملتهن بغير دوافع العطف ، والحكمة ، وتوخى الترشيد ، فاعلموا : ان الله هو صاحب العلو ، والاقتدار ، والسلطة .. اعلموا ذلك واخشوه فيهن ان كنتم مؤمنين .. والغرض ، من هذا العقد ، هو تنظيم الغريزة « الجنسية » لمصلحة الأفراد ، ولمصلحة الجماعة .. فأما لمصلحة الأفراد ــ الرجل ، والمرأة ــ فباعفاف النفس ، وبصون الأخلاق .. ثم ان به الحب ينمو ، والطمأنينة تتوثق ، والراحة النفسية تتوفر ، قال تعالى فيه : « ومن آياته ان خلق لكم ، من

أنفسكم ، ازواجاً ، لتسكنوا اليها •• وجعل بينكم مودة ورحمة •• ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون » •• كل اولئك يكـون ، بفضل الله ، ثم بفضل الأمتاع الحسى ، والمعنوى •• وأما لمصلحة الجماعة ــ وحظ الأفراد هنا غير غائب ــ فبحفظ النوع ، وبقيام الأسرة ، التى هى الدعامة الأولى للمجتمع ، وبالاهتمام بالذرية ، الذى يسوق الى تعليمها ، والى تهذيبها ، والى استشعار المسئولية نحوها التى توجب السعى ، والكدح ، اللذين ، بهما قوام التعمير ، والتمدين ، لجميع الأمة ••

هذه الشريعة ، اذا مـا وضعت فى موضعها مـن حكم وقتها هى غاية فى الأنضباط ، والحكمة ، والعدل ، والسماحة •• وهى قد حررت المرأة ، يومئذ ، تحريرا كبيرا •• وقفزت بها قفزة حكيمة ، وبجريئة ، فى آن معا •• وهى لا يظهر فيها النقص الا اذا ما نقلت من وقتها ، وطلب اليها ان تستوعب طاقات المرأة المعاصرة ، فتنتظم حقوقها ، وتحل مشاكلها •• ولكن لن يكون النقص ، حينئذ ، هو نقص هذه الشريعة ، وانما هو نقص هذه العقول التى تنقلها من بيئتها الى بيئة لم تشرع لها ، بدعوى ان الشريعة الاسلامية صالحة لكل زمان ومكان •• ولقد تحدثنا فى مواضع كثيرة فى كتبنا ، عن هذه الجهالة ، مما يغنينا عـن التعرض لها الآن •• والذى يهمنا ان نقرره ، فى هـذا المقام ، هو ان هـذه الشريعة مرحلية •• وكل حقوق ، اعطيت بها للرجل على المرأة ، انما هى أمانة عنده ، كأمانة الوصى على حقوق اليتيم ، يطلب منه ان يرشـده ، وان يرد اليه حقوقه حين يبلغ الرشد ••

جميع آيات الوصاية على النساء منسوخة ، منذ اليوم ، بآية : « ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف •• وللرجال عليهن درجة •• » •• ولقد سبق شرح هذه الآية •• فلا موجب للاعادة ••

وجميع آيات الوصاية ، على الرجال ، وعلـى النساء ، منسوخة ، منذ اليوم ، بآيتى : « فذكر انما انت مذكر * لست عليهم بمسيطر » ••

وجميع آيات الرأسمالية ، فى القرآن ، منسوخة بآية : «ويسألونك ماذا ينفقون ؟؟ قل : العفو » وللعفو قمة ، وله قاعدة •• وستظل قمته متروكة لمنطقة الأخلاق •• وانما تهمنا قاعدته لأنها أدنى منازل الاشتراكية ، وهى تحـــريم ملكية وسائل الانتاج ، على الفرد الواحد ، أو على الافراد القلائل •• وبهـذا ينفتح الطـريق لتطوير التشريع ، الـذى عليه تقـــوم الرسالة الثانية من الأسلام •• وهى الرسالة التى تقوم على تحقيق الفردية ، لكل رجل ، ولكـل امرأة •• وتتوسل الى منازل الفردية هذه بوسيلتين : احداهما وسيلة المجتمع الصالح ، وهو المجتمع الذى يقوم على التشريع الدستورى ، المستمد مـــن الدستور الأنسانى ، الـذى ، تحت ظله ، يتحقق الجمـع بين الأشتراكية ، والديمقراطية ، فى جهاز واحد ، حتى لكأنهما ، للمجتمع ، الجناحان للطـائر ، لا نهضة له بدونهما معا •• وثانيتهما وسـيلة المنهاج التربوى الذى جـاء به الأسلام ، فى عبادته ، والذى يسوقنا ، باتقان تقليدنا للمعصوم ، من التقليد الى الأصالة ــ من السير فى القطيع الى البروز الى مقام الفردية ــ من العبادة الى العبودية •• من القيد الى الحرية •• والحـرية المطلقة ، فى ذلك •• ومقـام الفردية هذا هو آصل أصول الدين •• وهو ، من ثم ، مطلوب الدين الأخـير ، لأنه مقام العبودية •• وهو المقام الذى تتأدى اليه جميع المناشـط فى العلم ــ العلم بالشريعة المشرفة ــ وفى العمـل ، وفى الذكر ، وفى الفكر ، وفى العلم ــ العلم بالله العظيم ــ وفى الفناء عن هذا العلم •• ومقام العبودية هذا هو مقام شريعة وحقيقة •• ولكن الشريعة فيه شريعة فردية ، يخرج بها المحقق مـــن شريعة القطيع •• ويؤتى شريعته الفردية من الله كفاحاً ••

مقام العبودية هذا مقام حياة •• حياة بالله ، عند الله •• وهو نهـاية المطاف ، وما للمطاف نهاية •• « ان المتقين فى جنات ، ونهر ، فى مقعد صـدق ، عند مليك مقتدر » •• عند الله ، حيث لا عند •• نهاية المطاف •• وما للمطاف نهاية •• لأنه سير الى الأطلاق •• فهو تجـدد ، مستمر وسرمدى ، لحيـاة

الفكر ، وحياة الشعور ٠٠

تداخل الشريعتين وانفتاحهما على بعضهما :ـ

يحسن أن نقرر ، وبصورة حاسمة ، فى هذا الموضع ان هناك شريعتين ٠٠ الشريعة السلفية ، وهى شريعة الرسالة الأولى ٠٠ والشريعة الجديدة ، وهى شريعة الرسالة الثانية من الأسلام ٠٠ والأختلاف بين الشريعتين انما هـو اختلاف مقدار ٠٠ فشريعة الرسالة الأولى قاعـدة ، وشريعة الرسالة الثانية خطوة نحو قمة الهرم الذى قاعدته شريعة ، وقمته أخلاق ٠٠ وهـذه الصورة الهرمية تعطى انطباعا ، واضحا ، بـأن شريعة الرسالة الأولى ليست منغلقة ، وانما هى منفتحة على شريعة الرسالة الثانية ٠٠ ثم ان هناك تداخـلا بينهما يجعل بعض صـور شريعة الرسالة الأولى لاتزال صـالحة فى عهد الرسالة الثـانية ٠٠ مثـال ذلـك ، شريعة العبادات ، وشريعة الحـدود ، وشريعة القصاص ٠٠ وانما يجىء استمرار صلاح هـذه ، من أسباب أوردناهـا فى موضعها من كتابنا : « الرسالة الثانية من الأسلام » ٠٠ فليراجع ٠٠ أما بقية شريعة المعاملات ، فى السياسة ، وفى المال ، وفى الاجتماع ، فان كثيرا مـن صورها قد خـدم غرضه ـ خـدمه حتى استنفده ـ وأصبح تطويره أمـراً واجباً ٠٠ ونكرر ان التطوير ليس قفزاً عبر الفضاء ٠٠ لا !! ولا هو قـول بالرأى الفج ٠٠ وانما هو انتقال من نص فرعى ، الى نص أصلى ، فى القرآن ، وعلى هدى فهم أسرار الدين ٠٠ وفيما نحن بصدده مـن شريعة الأحـوال الشخصية فان هناك ركنين من أركان الزواج الأربعة لا تزال لهما الصـلاحية التى بها يدخلان عهد الرسالة الثانية ، وبنفس القدر ، ان لم يكن بأوكد ، مـن الأهمية ٠٠ هذان الركنان هما الشاهدان ، والمحل ٠٠ ويراد بالمحل خلو الرجل ، وخلو المرأة ، من الموانع الشرعية مـن اقترانهما ٠٠ وأما الـركنان الباقيان ، المتممان لأربعة الاركان وهما الولى ، والمهر فانهما لا يؤذن لهما بدخول العهد الجديد ، الا بتطوير ٠٠ وهما من الامثلة الجيدة لأنفتاح شريعة الرسالة الأولى ،

على شريعة الرسالة الثانية مـــن الاسلام •• ففى حالة الولى ، فانه يســقط سقوطاً تاماً ، فى شريعة الرسالة الثانية من الاسلام •• وانما يجىء سقوطه ضمن سقوط الوصاية ، حيث العهد عهد مسئولية ورشاد •• فالوصاية ، علـى الرجال والنساء على حـد سواء ، للقانون الدستورى •• فمـن يحسن منهما التصرف فى حريته ، تحت ظل هذا القانون ، فلا سبيل عليه •• فانه : « ما على المحسنين من سبيل » •• وقد كان هذا الولى ، فى شريعة الرسالة الأولى ، غير ضرورى ، عند السادة الحنفية ، مثلا •• فان عندهم أن المرأة يمكنها أن تكون ولية أمر نفسها فى الزواج ، بل ويمكنها أن تكون ولية أمر غـيرها فيه •• ولا يشترط فى تصرفها الا ان تزوج نفسها ، أو غيرها ، للكفؤ ، بمهر المثل •• فانها ان فعلت ، فلا سبيل لوليها الى الطعن على تصرفها •• فانه ان يفعل ، يكن وليا عاضلا •• وهذا وصف يسقط حقــه فى الولاية عليها : « واذا طلقتم النساء ، فبلغن أجلهن ، فلا تعضلوهن ان ينكحـــن أزواجهن ، اذا تراضـــوا بينهم بالمعروف •• ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله ، واليوم الآخر •• ذلكم أزكى لكم ، وأطهر ، والله يعلم ، وانتم لا تعلمون » ••

وقد قرر السادة الحنفية فى الكفاءة انها تكون فى امور ستة : الأسلام ، والدين ، والحرية ، والنسب ، والمال ، والحرفة •• وستسقط كل هذه الأمور ، فى شريعة الرسالة الثانية ، ولا يظل منها قائما غير الدين ، والنسب •• والأمر الذى يهمنا من رأى السادة الحنفية هو أنه ، فى الشريعة السلفية ، هناك حوالة على القانون ، ليكون قائماً مقام الولى •• وهذا ما قصدناه حين قلنا بانفتاح الشريعة السلفية ــ شريعة الرسالة الأولى ــ على الشريعة الجديدة ــ شريعة الرسالة الثانية من الأسلام •• ويجىء الحديث عـــن الركن الرابع ، وهـــو المهر •• وهـــذا ، فى شريعة الرسالة الثانية من الأسلام ، وبقيمته المـادية المعروفة ، يسقط سقوطاً تاماً •• ذلك بانه انما هو ممثل لثمن شـراء المرأة ، حينما كانت تشترى فى الماضى ، فى عهد هــوانها ، فليس له ، فى عهـد عزها ،

مكان •• فليس للمرأة منذ اليوم ثمـن وانما هى شريكة زوجها فى عـــلاقة متكافئة •• هى ، كلها ، لزوجها ، وزوجها ، كله ، لها •• حقوقهما متساوية •• وواجباتهما متساوية •• « لهن مثل الذى عليهن بالمعروف •• وللرجال عليهن درجة » •• وهـــذا المهر المـادى ، نفسه ، فى الشريعة السلفية ، ليس بكبير الأهمية •• فهو ليس شرط صحة فى الزواج •• ذلك بان الزواج يصـح بغير مهر ، على الأطلاق •• ويصح بمهر متناه فى القلة •• وقد زوج النبى ببعض آيات القرآن ، وزوج بلا مهر ، علـــى الأطلاق •• اما تزويجه ببعض آيات القرآن : « فعن سهل بن سعد ان امرأة جاءت الى رسول الله فقالت : يا رسول الله !! جئت لأهب لك نفسى •• فنظر اليها رسول الله ، فصعد النظـــر اليها ، وصوبه •• ثم طاطا رأسه •• فلما رأت المرأة انه لم يقض فيها شيئاً جلست ، فقام رجل مـــن أصحابه فقال : يا رسول الله !! ان لم تكـن لك بها حاجة ، فزوجنيها •• فقال هل عندك من شىء ؟؟ قال : لا والله يا رسول الله !! قال : اذهب الى أهلك فانظر ، هل تجد شيئا ؟؟ فذهب ، ثم رجع ، فقـــال : لا والله يا رسول الله !! ما وجدت شيئاً •• قال انظر !! ولو خاتماً مـــن حديد •• فذهب ، ثم رجع ، فقال : لا والله ، ولا خاتماً من حديد ، ولكن هـــذا ازارى فلها نصفه •• فقال رسول الله : ما تصنع بأزارك ؟؟ ان لبسته لم يكن عليها منه شىء ، وان لبسته لم يكن عليك منه شىء •• فجلس الرجل حتى طال مجلسه ، ثم قام فرآه رسول الله مولياً •• فأمر به ، فدعى •• فلما جاء قال : ماذا معك من القرآن ؟؟ قال : معى سورة كذا ، وسورة كذا ، وعددها ، قال : أتقرؤهن عـــن ظهر قلبك ؟؟ قـــال : نعم !! قـــال : أذهب !! قـــد ملكتكها بما معك من القرآن •• وفى رواية زوجتكها بما معك من القرآن » رواه الخمسة ••

واما تزويجه بغير مهر ، علـــى الاطلاق ، فعن عقبة ابن عامر ، ان النبى قال لرجل : « أترضى ان ازوجك فلانة ؟؟ قال : نعم !! وقال للمرأة : أترضين ان ازوجك فلاناً ؟؟ قالت نعم !! فزوج احدهما صاحبه •• فدخل بها ، ولـــم

يفرض لها صداقا ·· ولم يعطها شيئا ، وكان ممن شهد الحديبية وكان من شهد الحديبية له سهم بخيبر ·· فلما حضرته الوفاة قال : ان رسول الله زوجنى فلانة ، ولم افرض لها صداقا ، ولم أعطها شيئاً ، وانى اشهدكم أنى اعطيتها من صداقها ، سهمى بخيبر ·· فأخذت سهماً ، وباعته بمائة الف درهم » ·· رواه أبو داؤد ··

ها هنا سقط المهر ، فى الشريعة السلفية ، وهذا هو ما عنيناه ، أيضا ، بانفتاحها على شريعة الرسالة الثانية من الاسلام ·· حيث يترجم المهر المادى الى مهر معنوى ··

من كل هذا الاستقراء ، يتضح لك قرب ما بين الشريعتين ، حتى ان التطوير ، من مستوى الشريعة السلفية ، الى مستوى الشريعة الجديدة ، لا يكاد يكون ذا بال ·· ومع ذلك فهو فى غاية الأهمية ، لانه يقرر مسائل كانت فى منطقة الخلاف ، كمسألة الولى ، وكمسألة المهر ، تقريراً نهائيا ، يعطيها صورة واحدة ، يجرى عليها العمل ، فى مستأنف أمر الزواج ··

الطلاق ··

لما كانت مرحلة الوصاية فى الاسلام (وصاية النبى على الأمة بمقتضى آية الشورى ·· ووصاية الرجال على النساء بمقتضى آية القوامة) مرحلة انتقال ، سببها قصور الأمة عامة ، وقصور النساء ، بخاصة ، عن شأو المسئولية ·· والمراد منها ان تتهيأ فترة انتقال ، خلالها يرشد الأوصياء القصر ، حتى يبرزوا الى مقام رشدهم ، وعزهم ·· حيث يكونون مسئولين عن حسن تصرفهم أمام القانون ·· كانت حقوق القصر أمانة عند الاوصياء ·· مثل النساء ، فى ذلك ، مثل الأيتام ·· قال تعالى : « وابتلوا اليتامى ، حتى اذا بلغوا النكاح ، فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم أموالهم ، ولا تأكلوها اسرافا ، وبداراً ان يكبروا ·· ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف ·· فاذا

دفعتم اليهم أموالهم فاشهدوا عليهم •• وكفى بالله حسيباً •• » •• والقرينة بين اليتامى وبين النساء هى السر فى قرنهن بهم فى قوله تعـالى : « وان خفتم الا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم مـن النساء ، مثنى ، وثلاث ، ورباع •• فان خفتم الا تعدلوا فواحـدة أو ما ملكت أيمانكم •• ذلك أدنى الا تعولوا •• » •• ولقد قال فى موضع آخـر : « وآتوا اليتامى أموالهم » وكنى بالمال عن جميع الحقوق ، وأهمها حقهم علـى الأوصياء فى النصـح ، والتربية ، والترشيد •• وقال : « وآتوا النساء صدقاتهن نحلـة » •• وكنى بالصدقات عن جميع الحقوق التى لهن ، على الأوصياء ، من النصح ، والتربية ، والترشيد •• والأوصياء هنا هم الازواج •• ومن حسن الترشيد للزوجـات اعدادهن ليبلغن مرتبة النضج التى بها يشاركن أزواجهن فى حقوق ، وواجبات الزوجية ، بمشاركة الأكفاء •• ومن حقوق ، وواجبات ، الزوجية الدخول فيها بكامل الأختيار •• والخروج منها بكامل الأختيار أيضا •• وهذا هو الطلاق •• فالطلاق حق ، فى أصل الدين ، للنساء ، كما هو للرجال •• ولكن حق النساء ، فى الشريعة ، فى المرحلة ، قد أئتمن عليه الرجال •• ولقد ذهل عن هذه الحقيقة علماء الأسلام ، لما ذهلوا عن ان الشريعة السلفية انما هى مـرحلية ، وليست الكلمة الأخيرة ، التى يريدها الدين ••

ويجب ان يكون واضحا ، فان حق النساء فى الطلاق لا يلتمس فى نصوص آيات الطلاق •• ذلك بأن جميع هذه الآيات انما هى آيات مدنية •• وهى من ثم ، فروع •• وفروع القرآن هى عمدة شريعة الرسالة الأولى •• فى حين أن عمدة شريعة الرسالة الثانية انما هى أصول القرآن •• وقد استفاض حـديثنا عن ذلك ••

تعدد الزوجات :ـ

لا مراء ! ! فان شريعة الأصـول تمنع التعـدد ، فى معنى ما تطـالب

بالعدل •• والعدل يستحيل بين زوجتين •• دع عنك أربعا •• وانما جاء تعدد الزوجات فى شريعة الفروع ، حيث كانت هى صاحبة الوقت ، فى القرن السابع •• ولم تكن حكمة التشريع ، يومئذ ، لتسمح بشريعة الأصول •• ذلك بأنها فوق طاقة المجتمع ، وفوق حاجته ، أيضاً •• ولا تستقيم حكمة بوضعها هذا الموضع •• ولقد اعتبرت شريعة الأصول مدخرة ليومها ، ولقد جاء هذا اليوم بمجىء مجتمعنا هذا الكوكبى الذى يسعى لأقامة الحكومة العالمية التى تقوم على الدستور الأنسانى ، وتنظم علائقها بالقانون الدستورى •• ولقد كانت شريعة الفروع ، وهى شريعة الرسالة الأولى ، متأثرة ، فى حكمة ، برواسب الماضى ، الذى كان عليه المجتمع الجاهلى ، حيث كانت المرأة ، لا تملك حق الحياة ، بله حق الحرية ، والمساواة •• الم تكن توءد حية ؟؟ : « واذا الموءودة سئلت بأى ذنب قتلت ؟؟ » وكان تعدد الزوجات فى العهد الجاهلى وسيلة شائعة من وسائل استغلال النساء فكان الرجل يتزوج العشر ، والعشرين امرأة ، يستخدمهن ، ويستولدهن •• فلم يكن ليستقيم ، اقتصادياً ، ولا اجتماعياً ، ولا سياسيا •• لم يكن ليستقيم مع الحكمة ، بأى وجه من الوجوه ، ان يجىء التشريع يحدد من التعدد ، الى الواحدة •• ويحاول التسوية فى الحقوق ، والواجبات ، بين الرجال ، والنساء •• فقد كانت الحكمة تستقيم مع التدريج ، ومع اعداد فترة انتقال تتهيأ فيها المرأة لممارسة حقوقها ، فى المساواة ، ويتهيأ فيها المجتمع ، اقتصادياً ، وسياسياً ، واجتماعيا ، للأسماح بهذه الحقوق •• وكذلك جاء تفضيل الرجال على النساء ، فى هذه الشريعة ، فجعلت المرأة على النصف من الرجل ، فى الشهادة ، وفى الميراث ، وعلى الربع منه فى الزواج •• وكل هذه انما هى امور عرضية ، زائلة ، بزوال أسبابها •• ويومئذ ينتقل التشريع الى المساواة •• وفيما نحن بصدده من تعدد الزوجات ، يقول القرآن : « وان خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى ، فانكحوا ما طاب لكم من النساء ، مثنى ، وثلاث ، ورباع •• فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة ، أو ما ملكت

ايمانكم •• ذلك ادنى الا تعولوا » ••

ولما كانت شريعة التعدد هى الشريعة الحكيمة لذلك الوقت لأسباب ذكرناها ، فى غير هذا الموضع ، من هذا الكتاب ، فقد جاءت السنة بتحديد العدل فى قوله : « فان خفتم ألا تعدلوا » فأصبح « العدل » اصطلاحاً قاصراً على العدل فى القسمة ، ومتجاوزاً عن ميل القلوب •• وقد جاءت السنة ، بهذا التقييد للعدل ، من قوله تعالى : « ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم •• فلا تميلوا ، كل الميل ، فتذروها كالمعلقة •• وان تصلحوا وتتقوا ، فان الله كان غفوراً رحيما » •• فكأنه تجاوز عن بعض الميل — « فلا تميلوا كل الميل » ، وانما تجاوز ليجعل شريعة التعدد ممكنة ، وهى شريعة قد كانت ضرورية لذلك الوقت •• والتجاوز عن بعض الميل أخذ بأخف الضررين •• وهو يستقيم فى المرحلة ، ولا يستقيم عند التمام ، وفى النهاية ومن ثم ، فان أصول الدين لاتقر التجاوز عن بعض الميل ، وانما هى تطالب بالعدل التام ، وبالمساواة التامة •• وفى هذه الأصول ، فان قوله : « فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة » يصبح قولا حاسماً فى النهى عن التعدد •• ذلك لأن العدل فى مستوى الأصول سينتقل من كونه عدلا فى القسمة ، كما كان فى مستوى الفروع ، ليصبح عدلا فى ميل القلوب •• ولا مشاحة فى أن القلب لن يعدل فى ميله بين اثنين •• فلم يبق الا واحدة ••

النفقة :

الانفاق على الزوجة سبب من أهم الأسباب التى نهضت عليها قوامة الرجل على المرأة •• قال تعالى : « الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض ، وبما انفقوا من اموالهم » ولقد ظن بعض الناس ، وحق ما ظنوا ، أن المرأة لن تكون كريمة ، فى حياتها ، الا اذا كانت مستقلة اقتصاديا •• وخير فرص النساء ، جميعهن ، فى الاستقلال الاقتصادى لا تتحقق الا بالتنظيم

الاجتماعى ، الذى يعيد تقويم الانتاج ، حتى تدخـــل المرأة ، الام المنجبة ، والمربية للاطفال ، أعلى مراتب التقدير بين جمهرة المنتجين •• وذلك هو مـــا عجزت عنه الاشتراكية ، المادية ، القائمة اليوم •• وذلك ايضاً ما أسلفنا اليه الأشارة ، فى موضع آخر ، من كتابنا هذا ••

لقد سبق أن قررنا ، ونكرر هنا ، أن النساء لا فرصة لهن فى الكرامـــة ، والمساواة ، الا فى عهـــد الديمقراطية ، والاشتراكية ، فى المستوى الأنسانى ، الذى اشتمل عليه القرآن ، حيث الفرد ، من رجل وامرأة ، هو الغاية مـــن كل سعى الحياة •• ولقد سبق أن قررنا ، ونكرر هنا ، أن هذا المستوى من شمول الادراك ، قد عجـــزت عنه جميع الفلسفات الاجتمـاعيات ، وفى طليعتهـا الماركسية •• وأنه لم يتوفر عليه غير القرآن ••

ان الأنتقال ، بالتطور الــواعى ، الوئيد ، الرشيد ، مـــن آية القوامة : « الرجال قوامون على النساء ، بما فضل الله ، بعضهم على بعض ، وبما انفقوا من أموالهم •• » ، الى آية المسئولية : « ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف •• وللرجال عليهن درجة » ، ولا يتم الا بأنتقال المجتمع انتقالا تاما ، يتخلص فيه تشريعه من رواسب مجتمع الغابة •• ولقد سبق أن قررنا ، ونكـــرر هنا ، أن شريعتنا السلفية متأثرة ، تأثراً حكيماً ، ورشيداً ، برواسب مجتمع الغابة •• ولقد يظهر ذلك فى أمرين ، من جملة أمور •• هذان الأمران هما الوصـــاية فى السياسة ، والراسمالية فى الاقتصاد •• ولقد أنى للمفكرين الأســلاميين أن يستيقنوا أن آية الشورى ، انما هى آية وصاية ، وليست آية ديمقراطية •• اكثر من هذا !! هى ناسخة لآية الديمقراطية •• وان آية الزكاة انما هى آية رأسمالية ، وليست آية اشتراكية •• اكثر مـــن هـــذا !! هى ناسخة لآية الاشتراكية ••

ان أمل المستضعفين اليوم وهم النساء ، والأطفال ، وسواد الرجال ، لا ينهض على هذه الفروع ، وأنما هو ينهض على الأصول ، التى عليها تقـــوم

الديمقراطية ، والاشتراكية •• اذ بالديمقراطية تقوم المساواة أمام القانون ، وبالاشتراكية تقوم المساواة فى الدخول •• ولقد تحدثنا عـــن كل أولئك بما يكفى •• والذى نحب أن نقرره هنا هو أن قوامة الرجال على النساء لا تنتهى الا بأنتهاء أسبابها •• وهى لا تنتهى أسبابها الا بمجىء عهــد الديمقراطية ، والأشتراكية •• حيث تحال الوصاية على القانون الدستورى •• وتحال النفقة على الكفالة الجماعية •• وهى المعروفة اصطلاحاً «بالمساواة الاقتصادية» ••. يومئذ لا تكون المرأة محتاجة لحماية الرجل ، ولا لوصايته ، ولا لنفقته •• لأن كل أولئك انما يجيئها من النظام الجماعى •• وبذلك يصبح المجتمع وســيلتها الكبرى لتحقق ، بمنهاج الاسلام فى العبادة والمعاملة ، فرديتها ، تلك الفردية التى هى مطلوب الدين •• اولا ، واخيراً •• ولقد اسلفنا الى ذلك الاشارة ••.

خـــاتمـــــة :

أما بعد فان هذه هى الخاتمة •• وهى خاتمة قد أفضينا اليها بعد تطواف طويل ، مررنا فيه على القمم الشواهق مــن أصول الدين •• ونحــن ، الآن ، وهنا ، على موعد مع احدى كبريات حقائق عصرنا الحاضر ، وتلك هى ان هذه الحضارة المادية ، العلمية ، الآلية ، العملاقة ، تواجه الدين — من حيث هــو دين — بتحد لم يسبق له مثيل فى تاريخ البشرية الطويل العريض •• ان هــذه الحضارة « التكنولوجية » ليست رجسا من عمل الشيطان ، وانما هى من صنع العزيز الحكيم •• وحكمته وراءها لا تنفد •• ولكن من أجلها ، وأعظمها ، هذا التحدى الذى اخذت تواجه به الدين •• فان هذه الحضارة العلمية العملاقة قد استخدمت الآلة استخداما الغى الزمان والمكان الغاء يكاد يكــون تاماً ••. وكان من جراء ذلك ان توحد هـــــذا الكوكب ، الذى نعيش فيه ، « جغرافيا » توحيداً جعل سكانه جيرانا •• والجوار بالأقطار كالجوار بالأبيات ، يقتضى طيب المعاملة ، وحسن الخلق ، وسعة التسامح •• ولقــد كان المعصوم يوصى كثيراً بحسن معاملة الجــار •• حتى لقد قال مــرة : « ما زال جبريل يوصينى

بالجار حتى ظننت انه سيورثه » ٠٠ وحسن الجوار فى مستوى الأقطار يتطلب حسن خلق من النسق العالى الذى لم يجىء الدين الا لتحقيقه ٠٠ وقد قال المعصوم مرة فى ايجاز مهمته كرسول : « انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » فكأنه قد قال : ما جئت الا لاتمم مكارم الأخلاق ٠٠ ومكارم الأخلاق ، جماعها ، وقمتها ، حسن التصرف فى الحرية الفردية المطلقة ٠٠ وأيسر ذلك وأدناه الا يتعدى الفرد ، فى قول ، ولا فى عمل ، على حريات الآخرين ٠٠ ولا يتحقق هذا النسق السامى من حسن التصرف الا بقوة الفكر المروض بأدب شريعة الدين ، وأدب حقيقته ٠٠ وأنما من أجل ترويض الفكر على هذا النسق العالى من الصفاء ، والسلامة ، وسعة الأدراك ، نزل القرآن ، وشرعت الشريعة ٠٠ قال تعالى فى ذلك : « وأنزلنا اليك الذكر ، لتبين للناس ما نزل اليهم ٠٠ ولعلهم يتفكرون ٠٠ » ٠٠ قوله : « وأنزلنا اليك الذكر » ، يعنى القرآن جميعه ، فى مستوياته الثلاثة : الفرقان ، والقرآن ، والذكر ٠٠ قوله : « لتبين للناس ما نزل اليهم » ، يعنى ماتدنى ، وتنزل ، الى مستوى فهومهم من سماء أصول القرآن ، الى أرض فروعه ٠٠ ولقد تحدثنا عن الأصول ، والفروع ، فى هذا الكتاب ، وفى كتابنا : « الرسالة الثانية من الأسلام » ، بما يغنى عن الاعادة هنا ٠٠ والمقصود بالتبيين هنا ، من قوله : « لتبين للناس » أنما هو التبيين بالشرح ، وبالتفسير ، والتبيين بالتشريع أيضا ٠٠ ثم قال « ولعلهم يتفكرون » فأبان أن الغرض من انزال القرآن ، ومن تفصيل التشريع ، انما هو ترويض الفكر على الصفاء ، الذى هو وسيلة القلب الى السلامة ٠٠ ولاتتم « مكارم الأخلاق » الا بالفكر الصافى ، والقلب السليم ٠٠ الفكر الصافى من كدورة الأوهام ، والخرافات ، والأباطيل ٠٠ والقلب السليم من المخاوف ، التى جعلته بيتاً تعشعش فيه سخائم الكراهية ، والحقد ، والحسد ٠٠

ان التحدى الكبير الذى تواجه به حضارة « التكنولوجية » المظيمة

الدين يتلخص ، جميعه ، فى كلمة « السلام » •• فان الأرض بهذه الحضارة قد توحدت ، كما أسلفنا القول •• وهـذا الوطن الموحـد يطلب الى سكانه ان يتوحدوا ، بصرف النظر عن مللهم ، وعن ألسنتهم ، وعـن ألوان بشرتهم •• ولا يتم هذا التوحيد الا بتنمية ، وبتحـرير ، المواهب المشتركة بين جميع البشر •• وما المواهب المشتركة بينهم جميعاً الا موهبة القلب ، والعقـل •• وانما مـن أجل تنمية هاتين الموهبتين ، ومن أجـل تحرير هما جاءت جميع الأديان •• وللأديان ، وبخاصة الأسـلام ، مرحلتان : مرحلة « العقيدة » ، ومرحلـة « العلم » •• فأما مرحلـة « العقيدة » فانها تفـرق الناس ولا تجمعهم •• والقاعدة فيها : «كل حزب بما لديهم فرحون » •• لا يجمع الناس الا مرحلة « العلم » • فعلى (العقيدة) ، من ديننا ، قامت أمة «المؤمنين» •• وعلى (العلم) ، من ديننا ، تجىء أمة (المسلمين) •• وهذه هى الأمة التى ستنتظم فى صفوفها سائر بشرية هـذا الكوكب •• والى ذلـك أشار تبارك ، وتعالى ، حين قال : « هو الذى ارسل رسوله ، بالهدى ، ودين الحق ، ليظهره على الدين كله •• وكفى بالله شـهيداً » •• « الهدى » ، « النور » لهـداية القلوب الى السلامة من الخوف •• « ما أصاب مـن مصيبة الا بأذن الله •• ومن يؤمن بالله يهد قلبه • والله بكل شىء عليم » •• و « الحق » ، «الحكمة» لهداية العقول •• (ولا تلبسوا الحـق بالباطل ، ولا تكتموا الحـق ، وأنتم تعلمون) •• وموهبتا القلب والعقل هما الموهبتان المشتركتان بين جميع البشر بصرف النظر عن مللهم ، والسنتهم ، والوان بشرتهم •• والى هاتين الموهبتين المشتركتين بين الناس ، أشار ، تبارك وتعالى ، بقوله : « فأقم وجهك للـدين حنيفاً فطرة الله ، التى فطر الناس عليها ، لا تبـديل لخلق الله ، ذلـك الدين القيم •• ولكن أكثر الناس لا يعلمون » •• « فطـرة الله التى فطـر الناس عليها » هما هاتان الموهبتان •• وقد سمى الاسلام « دين الفطرة » لعظيم أثره فى تحرير هذه الفطرة ــ القلب من المخاوف •• والعقل من الأباطيل •• وسبيله

الى ذلك انما هو « العلم » ٠٠ وهـذا هو السر فى ان الفاصلة فى الآية جـاءت بقوله تعالى « ولكن أكثر الناس لا يعلمون » ٠٠ ومرحلة « العلم » فى الأسلام تجىء بعد مرحلة « العقيدة » ٠٠ فأنما هما مرحلتان : مرحلة « العقيدة » على ثلاث درجات : الأسلام ، والأيمان ، والاحسان ٠٠ ومرحلة (العلم) علـى ثلاث درجات : علم اليقين ، وعلم عين اليقين ، وعلم حق اليقين ٠٠ وهـذه ، وتلك ، تكـونان ، بينهما ، ست درجـات ، تتوج بالدرجـة السابعة ، وهى « الأسلام » الذى هو دين الفطرة ٠٠

هذا الأسلام هو الذى يواجه ، ممثلا لجميع الأديان ، هذا التحدى الذى تواجه به هذه الحضارة الآليـة ، العلمية ، المادية العملاقة ، جميع هـذه الأديان ٠٠ والأسـلام فى هـذا المحتوى ، وفى هـذا المستوى ـ مسـتوى « العلم » ـ انما حوته أصول القرآن ، لا فروعه ٠٠ وهذا هو الأمر الـذى حملنا علـى القول بتطوير الشريعة من الفروع ، الى الأصول ، ومن مستوى شريعة الرسالة الأولى ، الى مستوى شريعة الرسالة الثانية ٠٠

ان هـذا الأنسان المعاصر ، الـذى ذهب الى القمر ، يجوس خـلاله ، ويستكشف مجاهيله ، وأرسل مركباته بآلاتهـا الى كوكب المـريخ ، ترسل صوره ، واضحة جلية ، هـذا الانسان المتطلع الى المجهول ، الكلف بالغيب ، الموكل بالفضاء الخـارجي ، يجوب بآلاته آفاقه ، انما هـو ، فى خفية أمره ، يبحث عن نفسه ، وهو لا يشعر ٠٠ هو يبحث عن نفسه التى أضلها تحت ركام الخرافات ، والمخاوف ، والأوهام ، والأباطيل ، عبر قرون لا حصر لها ، مـن تاريخه الطويل ٠٠ وسيظل يبحث عنها ، وسيجدها ، وسيتعرف اليها ، وسيكون فى سلام معها ٠٠ وبهذا ، وبهذا وحده ، سيحقق السلام مع الأحياء الآخرين ٠٠ فانه ، مادام هو منقسما على نفسه ، وعلى جهل بها ، وفى حرب معها ، فانه لن يعطى الآخرين سلاماً ، بل حرباً ، ذلك بأن فاقد الشىء لا يعطيه ٠٠

فى عهد فرعون موسى ، عندما كان الأمر الغالب على العصر هـو السحر ،

فقد جاءت رسالة موسى بالحق بصورة بزت سحر السحرة ، وأبطلته ، فظنوه سحراً ، وما هو اياه ، وانما هو يشبهه ، ويختلف عنه .. ولقد قص الله علينا من خبره ، فقال ، جل من قائل : «ولقد أريناه آياتنا ، كلها فكذب ، وابى * قال أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك يا موسى * فلنأتينك بسحر مثله ، فأجعل بيننا وبينك موعدا لا نخلفه ، نحن ولا أنت ، مكاناً سوى * قال : موعدكم يوم الزينة ، وأن يحشر الناس ضحى * فتولى فرعون ، فجمع كيده ، ثم أتى * قال لهم موسى : ويلكم !! لا تفتروا على الله كذباً فيسحتكم بعذاب .. وقد خاب من أفترى * فتنازعوا أدرهم بينهم ، وأسروا النجوى * قالوا : ان هذان لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما ، ويذهبا بطريقتكم المثلى * فأجمعوا كيدكم ، ثم أتوا صفاً .. وقد أفلح اليوم من استعلى * قالوا : يا موسى اما أن تلقى ، واما أن نكون أول من ألقى * قال : بل القوا .. فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم أنها تسعى * فأوجس فى نفسه خيفة موسى * قلنا : لا تخف !! انك أنت الأعلى * والق ما فى يمينك تلقف ما صنعوا .. انما صنعوا كيد ساحر .. ولا يفلح الساحر حيث أتى * فألقى السحرة سجداً .. قالوا : آمنا برب هارون وموسى * قال آآمنتم له قبل أن آذن لكم ؟؟ انه لكبيركم الذى علمكم السحر .. فلأقطعن أيديكم ، وأرجلكم من خلاف .. ولأصلبنكم فى جذوع النخل .. ولتعلمن أينا أشد عذاباً ، وأبقى * قالوا : لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات ، والذى فطرنا ، فأقض ما انت قاض .. انما تقضى هذه الحياة الدنيا » .. فقد جاءهم الحق بصورة تشبه ما عندهم ، ولكنه بز ما عندهم ، وفاقه ، فعرفوه واستيقنوه ، وأذعن له من كان له بصر بالأمور ..

وفى عهد عيسى ، حين كان الغالب عليهم ، والمعظم فى صدورهم الطب ، جاءهم الحق فى صورة تشبه ما عندهم ، ولكنها أعظم منه ، فقال ، جل من قائل : « ورسولا الى بنى اسرائيل : أنى قد جئتكم بآية من ربكم ، أنى أخلق لكم من

الطين كهيئة الطير ، فانفخ فيه ، فيكون طيراً بإذن الله .. وأبرىء الأكمه ، والأبرص ، وأحيي الموتى ، بإذن الله ، وانبئكم بما تأكلون ، وما تدخرون فى بيوتكم .. ان فى ذلك لآية لكم ، ان كنتم مؤمنين » .. فجاءهم الحق بصورة تشبه ما عندهم ، وما يعظم فى صدورهم ، ولكنه زاد عليه فعرفوه ، واستيقنوه وأذعن له منهم من سبقت له من الله عناية ..

ثم جاء عهد محمد ، فكان الغالب عليه ، والمعظم فيه ، قوة البيان ، وفصاحة اللسان ، والعناية بأقناع العقول .. ولم تكن المعجزات فى عهد موسى ، وعيسى ، تهمل اقناع العقول ، ولكنها كانت تتجه ، فى المكان الأول ، لتبهر العيون ، وتسترهب العقول ، بالخوارق .. ولكن معجزة محمد كانت تتجه ، فى المكان الأول ، الى مخاطبة العقول ، لاقناعها بالبيان المعجز ، فى شمول فى العبارة ، وعمق فى الأشارة ، ودقة فى المعنى .. هو يقول (كذلك يبين الله لكم آياته .. لعلكم تعقلون) .. ويقول (كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون) .. وكذلك كانت معجزة القرآن ، « البيان » .. ثم هو دعوة الى الفكر ليس لها نظير .. قال تعالى ، فى ذلك : « وأنزلنا اليك الذكر ، لتبين للناس ما نزلنا اليهم .. ولعلهم يتفكرون » فلكأنه تعالى قد جعل الغرض من ارساله رسوله ، ومن انزاله قرآنه ومن تفصيله تشريعه ، انما هو « الفكر » .. ولكن هذا المستوى السامى من أغراض الدين لم يتحقق .. وهو لا يتحقق الا فى المرحلة العلمية منه التي تقوم على أصول القرآن .. وذلك لأن الفكر انما هو سمة مرحلة « العلم » من الأسلام ، لا مرحلة « العقيدة » منه .. ولقد بينا أن الأسلام قد جاء فى مرحلتين لأمتين .. مرحلة « الايمان » لامة المؤمنين .. وهذه تقع فى ثلاث مراتب : الاسلام ، والايمان ، والاحسان .. ولقد حواها حديث جبريل المشهور .. ومرحلة « الأيقان » لأمة المسلمين ، وهى أمة لم تجىء الى اليوم ، وانما هى مقبلة .. وقد عناها النبى الكريم بحديث الأخوان المشهور .. فانه قد قال : واشوقاه ، لأخوانى الذين لما يأتوا بعد !! قالوا

أولسنا اخوانك ، يا رسول الله ؟! قال : بل أنتم أصحابى !! وأشوقاه لأخوانى الذين لما يأتوا بعد !! قالوا : أو لسنا أخوانك ، يا رسول الله ؟؟ قال : بل أنتم أصحابى !! واشوقاه لأخوانى الذين لمايأتوا بعد !! قالوا من اخوانك ، يا رسول الله ؟؟ قال قوم يجيئون فى آخر الزمان ، للعامل منهم أجر سبعين منكم !! قالوا منا أم منهم ؟؟ قال : بل منكم !! قالوا : لماذا ؟؟ قال : لأنكم تجدون على الخير أعوانا ، ولا يجدون على الخير اعوانا !! وهذا الحديث الشريف مأخوذ من القرآن الكريم •• من قوله تعالى : « هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم ، يتلو عليهم آياته ، ويزكيهم ، ويعلمهم الكتاب ، والحكمة ، وان كانوا ، من قبل ، لفى ضلال مبين * وآخرين منهم ، لما يلحقوا بهم •• وهو العزيز الحكيم * ذلك فضل الله ، يؤتيه من يشاء •• والله ذو الفضل العظيم » •• أشار الى الاخوان ، الذين لما يأتوا بعد ، بقوله ، « وآخرين منهم ، لما يلحقوا بهم » •• وجاء بقوله : « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء •• والله ذو الفضل العظيم » •• فى مقام الرد على التساؤل « لماذا ؟؟ » الذى ورد الرد عليه فى الحديث بقوله : « لأنكم تجدون على الخير اعوانا ، ولا يجدون على الخير اعواناً » ••

امة المسلمين التى لما تأت بعد يكون دينها ذا سبع مراتب : ثلاث مراتب « الايمان » •• وثلاث مراتب « الأيقان » •• ثم تتوج هذه ست المراتب بمرتبة الأسلام •• وهذا هو الأسلام الذى عناه الله ، تبارك ، وتعالى ، حين قال : « ومن يبتغ غير الأسلام دينا فلن يقبل منه •• وهو فى الاخرة من الخاسرين » •• ومراتب الأيقان ، التى لم ترد فى حديث جبريل ، حواها القرآن •• وهى فوق مراتب الأيمان •• هى مراتب (علم) مراتب علم اليقين ، وعلم عين اليقين ، وعلم حق اليقين •• وهذه هى مستوى آيات الأصول ، التى كثيرا ما تحدثنا عنها ، فى هذا الكتاب ، وفى غيره من كتبنا •• ولقد قصدنا ، بحديثنا المستفيض عن مرحلة « العلم » من الأسلام الى ان الأسلام

« علم نفس » •• فعلم النفس هـو ما يحتاجـه الانسان المعاصر كما سبق أن بينا ••

يقول الله تعالى : « أن هذا القرآن يهـدى للتى هى أقـوم ، ويبشر المؤمنين ، الذين يعملون الصالحات : ان لهم أجراً كبيراً » •• ههنا الحديث الأساسى عن مرحلة المسلمين ، وهؤلاء هم المهديون الى التى هى أقـوم •• والتى هى أقـوم انما هى « النفس الكاملة » •• لأنهـا هى على جـادة الأستقامة •• وعندما قال النبى الكريم شيبتنى هود واخواتها ، انما عنى من هود قوله : « فاستقم ، كما أمرت ، ومن تاب معك ، ولا تطغـوا •• انه بما تعملون بصير •• » والاستقامة هنا انما هى لزوم « العبودية » التى هى حد العبد ، والطغيان هو الزيادة عن هذا الحد ، بدخول رائحة أدعاء «الربوبية» ، التى هى آفة العبودية السرمدية ، والتى لا تنفك عنها علـى المدى •• ومنهاج هداية المسلمين الى النفس الكاملة هو « علم النفس » ولقد تحدثنا ، بشىء من التفصيل ، عن هذا فى مقدمة كتابنا « اسئلة واجوبة » •• الكتاب الاول ••

ومن أوضح ما فى هذا الباب ، من القرآن ، قوله ، تبارك ، وتعالى : « وكل انسان الزمناه طائره فى عنقه ، ونخرج له ، يوم القيامة ، كتابا يلقاه منشورا * اقرأ كتابك !! كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا * من اهتدى ، فانما يهتدى لنفسه ، ومن ضل ، فأنما يضل عليها •• ولا تزر وازرة وزر أخرى •• وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا » •• ونحب ان نلفت النظر الى التوكيد على الفردية الوارد فى هذه الآيات الثلاث ••

وأما فى الآية السـابقة فان المهـديين الى التى هى أقـوم انما هم « المسلمون » •• وأما « المؤمنون » فانهم مبشرون (بالجنة) قال : « ويبشر المؤمنين ، الـذين يعملون الصالحات : ان لهم أجـراً كبيراً » •• وشتان بين هؤلاء ، واولئك ••

وبالرجوع الى ما أسلفنا الأشارة اليه ، من ان المعجزة التى تظهر مـع

الرسالات انما هى بسبيل مما يكبر فى صدور الناس الــذين أنزلت اليهم تلك الرسالات ، نجد أن القرآن قد جاء فى عهد البلاغة التى كانت كبيرة فى صدور العرب ، وعظيمة الوقع على نفوسهم ، جاء بالأعجاز فى هذا الباب ، من شمول العبارة ، ولطف الاشارة ، وفصل الخطاب ، ودقة المعنى •• هذا فى استعماله لأوانى التعبير العربى ــ اللغة العربية ، ولطالما أشرنا الى ان القــرآن ليس اللغة العربية •• ونعنى بذلك : أن اللغة العــربية لا تحمل كــل معانيه ، انما القرآن علم ، هو علم النفس البشرية التى اغتربت عن موطنها •• وهى الآن فى سبيل الرجعى اليه •• والقرآن هو خط سيرها ، فى الصدور ، والورود •• وهو أنما صب فى قوالب التعبير العربى ليكون منهاجاً لها ، به تتحقق لها الرجعى •• قال تعالى ، عن حقيقة القرآن ، وعن مظهره : « حم * والكتاب المبين * انا جعلناه قرآنا عـــربيا ، لعلكم تعقلون * وانه ، فى أم الكتاب ، لدينا ، لعلى حكيم » •• فــالقرآن حقيقته •• فى أم الكتاب •• وأم الكتاب ، هنــا ، هى الذات الألهيه •• فانه ، عندما قال « لدينا » ، قد خرج بالصورة عـــن الزمان والمكان ، فلحقت بالذات •• فهذه هى حقيقة القرآن •• ثم انه تنزل المنازل ، حتى لقد طوعت أوانى التعبير العربى لتحمل اكبر قدر من هــذا الأطلاق •• والحكمة فى ذلك هى أن نفهم نحـــن : « انا جعلناه قــرآنا عربياً ، لعلكم تعقلون » •• وتطويع أوانى التعبير العربى لتحمل هذا الفيض الزاخر مــن العلم ، هو اعجاز التعبير ، الذى ووجه به العرب ، فلم يستطيعوا ان ينهضوا لتحديه ، فأذعنوا له ، واستيقنته نفوسهم ، وآمن له منهم من سبقت له مــن الله العناية ••

ولكن التعبير باللغة العربية انما هو ظاهر القرآن •• وللقرآن ظاهر ، وباطن ، وله حد ، ومطلع •• ولقد تحدثنا عن كل اولئك فى كتابنا : « اسئلة واجوبة » •• ويكفى أن نقول هنا : أن ظاهره هو بمثابة آيات الآفاق •• وان باطنه هو آيات النفوس •• والى ذلك الاشارة بقوله تعالى : « سنريهم اياتنا ،

فى الافاق ، وفى انفسهم ، حتى يتبين لهم أنه الحـــق •• أو لم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد ؟؟ » وكل باطن من القرآن داخله باطـــن •• ولا تتناهى الصور ، على الاطلاق •• لأن نهايتها فى الاطلاق ــ فى الذات الالهية ــ وحين كانت معجــزة الرسالة الاولى من الأسلام هى بلاغة القـــرآن ، فان معجـــزة الرسالة الثانية من الأسلام هى « علمية » القرآن •• فان هذا العصر الحاضر هو عصر العلم •• العلم المادى التجريبى •• هذا هو أعظم شىء فى صــــدور الناس الآن ، وسيجىء الحق ، فى الرسالة الثانية مـــن الأسلام بصورة تشبه هذا العلم ، ولكنها تبزه ، وتتفوق عليه •• وســـــيذعنون لها ، وستستيقنها نفوسهم ، وسينقادون لها •• لا يشذ عنها شــاذ ، ولا يعصى امرها عاص •• يقول تعالى فى ذلك : « طسم * تلك آيات الكتاب المبين * لعلك باخع نفسك الا يكونوا مؤمنين * ان نشأ ننزل عليهم ، من السماء ، آية فظلت أعناقهـــم لها خاضعين » •• وهذه الآية انما هى بيان الكتاب المبين المطـــــوى فى آية (طسم) هذه •• وهذه هى مهمة الرسالة الثانية من الاسلام •• هذا مجـــال التفاوت فى فردياتها •• تلك الفرديات التى تنشأ على أديم مجتمع تحكم علائق أفراده الشريعة التى تقوم على اصول القرآن ••

ان « شريعة الأحوال الشخصية » هى أهم شريعة فى الاسلام ، بعـــد شريعة العبادات •• ولقد حاولنا ، فى مضمار الحديث عنها ، أن نشقق الحديث عن آصل أصول الدين ، لأنها هى من أكبر مجالى ، ومجالات ، هـــذه الاصول الأصيلة ••

وصيتى للـــرجال ••

*** اعلموا : ان الصورة التى تعرض نفسها دائماً على الأذهان ، عند الحديث عن حقوق المرأة ، تلك الصورة التى تجعـــل الرجل والمرأة ضـــدين ، لبعضهما البعض ، يتنازعان حقـــا بينهما ، فى خصومة ، ولـــدد ، فاذا كسب احدهما خسر الآخر ، هذه الصورة شائهة ، وخاطئة •• ان قضية المرأة ليست**

ضد الرجل ، وانما هى ضد الجهل ، والتخلف ، والظلم الموروث ٠٠ وهى ، من ثم ، قضية الرجل والمراة معاً ٠٠ ولتعلموا : ان صراعنا دائما انما هــو ضد النقص ، ابتغاء الكمال ٠٠ والكمال انما هـــو حظ الرجل ، وحظ المــراة فى آن معاً ٠٠ فان الفرد الكامل ، انما هو الابن الشرعى للمجتمع الكامل ٠٠ وهو ، اكثر من هذا ، الابن الشرعى للمرأة الكاملة ٠٠ يقول العارفون : ان الصلاح « امرأة » ٠٠ ويريدون بذلك ان يقولوا : ان المرأة الصالحة اذا تزوجها الرجل الصالح ، أو تزوجها الرجل الطيب ، كريم الاخلاق ، سخى اليد ، حسن الدين ، فانها تنجب ابنا صالحا ٠٠ ولكــن الرجل الصــالح اذا تزوج امرأة مرذولة ، دنيئة النشاة ، رقيقة الدين ، كزة النفس ، فانه لا ينجب الا ابناء فاســدين ، رقيقى الدين ، سيئى الخلــق ٠٠ وذلك امــر مفهوم ، ومقــدر ، واســبابه واضحة ٠٠ فان الولد ، انما هو ، من الناحية العضوية ، يكاد يكون كله مــن المراة ٠٠ هو مــن عظمها ، ودمها ، ولحمها ٠٠ فهى تعطيه فى احشــائها ، كل تكوينه الجسمانى ٠٠ ثم هى ، اذا برز من احشائها ، تعطيه ، من كيانها ، كل غذائه ، تقريباً ، الى أن يفطم ٠٠ هذا من الناحية العضوية واما مــن الناحية الروحية فان حالتها النفسية ، ومزاجها ، يؤثران عليه ، وهو جنين ، ثم يؤثران عليه ، وهو رضيع ، ثم يؤثران عليه ، وهــو طفل يشــب فى مدارج اليفاعة ، تاثيراً يكاد يكون كاملا ٠٠ ويكفى انه ، عنــدما تفتح عيناه لأول مرة ، انمــا تفتحان عليها هى ٠٠ فيلفح وجهه دفء أنفاسها ، وتمس جلده نعومة اناملها ، وتستقر فى أعماق عقله نظراتها الحنينة ، ويطــــرق أذنيه عذب مناجاتها ، ومناغاتها ٠٠ وبالاختصــار ، فهو يأخــذ منها كــل مزاجه ، وكــل تكوينه ، الجسمانى ، والروحى ، والخلقى ، والفكرى ، ثم هو لا يكون ســعيه ، فيما بعد ، بين الناس ، الا متاثرا ، تاثرا كاملا ، بكل هذا التكوين المبكر ٠٠ ثم ان احدنا ، فى جميع اطوار حياته ، محاط بالمراة ، مــن جميع اقطــاره ٠٠ فهى الزوجــة ، وهى ، قبــل ذلك ، الأم ، وهى ، بعد ذلــك ، الأخت ، والبنت ٠٠

ثم انها هى تحت جلدنا وفى أهابنا ٠٠ أليست نفس أحدنا امرأة ؟؟ بلى !! فان أحدنا ، من رجل أو امرأة ، انما هو نتاج مشترك للقاء الذكر بالانثى ٠٠ ففى كل رجل حظ من الأنوثه ٠٠ وفى كل امرأة حظ مــــن الذكورة ٠٠ والسعى فى مراتب الكمال ، للرجل ان يتخلص من هذا الخلط المشوش ، حتى يكون كامل الرجولة ٠٠ وللمرأة ان تتخلص من هذا الخلط المشوش ، أيضا ، حتى تكون كاملة الانوثة ٠٠ فان الرجل ، كامل الرجولة لم يجىء بعد ٠٠ والمرأة كــاملة الانوثة لم تجىء بعد ٠٠ وانما هما مقبلان ، على التحقيق ، وذلك بفضل الله ، و « الله ذو الفضل العظيم » ٠٠ اننا نحــن الآن نعاشر نقص بعضنا بعضا ٠٠ فالنساء يعايشن ، ويعاشرن نقص رجالهن ٠٠ والرجال يعايشون ، ويعاشرون نقص نسائهم ٠٠ حتى انه لحق ان المباشرة الجنسية بين الرجل وزوجته انما هى مؤوفة بالنقص لأنها انما هى ، فى المرحلة الحاضرة من مراحل نمونا ، التقاء بين نقصنا ، نحن الرجال ، ونقص نسائنا ٠٠ فلكأننا نباشر الرجال فى النساء ، من دون النساء ، والى هذا ، وفى هذا المستوى ، اللطيف ، الدقيق ، تشــير الاية ، فى حق قوم لوط : « أئنكم لتأتون الرجال ، شهوة ، من دون النساء ٠٠ بل أنتم قوم تجهلون » فلكأننا ، فى هذه المرحلة من نمونا ، وتطورنا ، نحــو الكمال المرتقب ، حين نعاشر زوجاتنا ، الفضليات المعاشرة الجنسية ، النظيفة ، الانسانية ، الرفيعة ، انما يعاشر نقصنا نقصهن ٠٠ وهــذا هو السبب فى قلة السعادة الزوجية الحاضرة حتى ان كل الزيجات ، بعد الأيام القلائل الاولى ، التى تسمى ، بالتعبير العصرى ، « شهر العسل » لا تكاد تقوم الا على المجاملة ، والاحتمال ، والعرض ٠٠ لا الحب ٠٠ والعامة عندنا تقول : « الزواج أولــه رغبة وآخره عرض » وقد يظن بعض الناس ان ما يقتل الحب بين الــزوجين انما هو مشاكل الحياة المادية ، ومسئولية الكسب ، والاعالة ، وتدبير المعاش للأسرة ٠٠ والحق ان هذا نتيجة ، وليس سببا ، وانما السبب هو التنافر الذى ينشأ عندما يلتقى نقص الرجــال ، بنقص النساء ٠٠ وما هــذا النقص الا

الانقسام الداخلى ، والتشويش الداخلى ، الناشىء من قصورنا المباشر .. ذلك القصور الذى سببه التقاء الانوثة والذكورة فى ابوينا ، فجاءت المرأة خليطا من الانوثة والذكورة ، ولكن حظ الانوثة فيها اكبر .. وجاء الرجل خليطا من الذكورة والانوثة ولكن حظ الذكورة فيه أكبر من حظ الانوثة .. فلا الانثى أنثى كاملة .. ولا الذكر ذكر كامل .. وانما قيمة التوحيد ـ كلمة « لا اله الا الله » ، لنا أن تحقق لنا هذه التصفية ، والتنقية ، فتتم وحدتنا فى بنيتنا بأن يجىء الرجل كامل الرجولة .. وتجىء المرأة كاملة الانوثة ـ هذا هو كمال الرجال وكمال النساء ـ الرجل كامل الرجولة ، والمرأة كاملة الانوثة ـ فاذا جاء هذا الطور من اطوار نمونا فان السعادة تتحقق بالزواج بصورة هى « ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر » .. وهذا الطور ينتظرنا وسبيلنا اليه هو القرآن .. على ان يقوم تشريعنا الجماعى ، والفردى ، على أصوله لا على فروعه ..

* أعينوا النساء على الخروج من مرحلة القصور ، ليستأهلن حقهن الكامل فى المسئولية ، حتى تنهض المرأة ، وتتصرف كانسان ، لا كانثى ..
* غاروا على النساء .. ولا يكن مصدر غيرتكم الشعور بالامتلاك ، كما هى الحالة الحاضرة .. ولكن غاروا على الطهر ، وعلى العفة ، وعلى التصون ، لدى جميع النساء .. وسيكون من دوافع مثل هذه الغيرة أن تعفوا ، انتم انفسكم ، فانه وارد فى الحديث : « عفوا تعف نساؤكم » ..
* تسلطوا على النساء !! ولكن لا يكن تسلطكم عليهن عن طريق الوصاية، ولا عن طريق القوة ، ولا عن طريق الاستعلاء ـ استعلاء الذى ينظر من أعلى الى أدنى ـ ولكن تسلطوا عليهن عن طريق الحب .. احبوهن ، وتعلقوا بالمكارم ، والشمائل ، والرجولة ، التى تجعلكم محبوبين لديهن .. فان المرأة اذا احبت بذلت حياتها فداء لمن تحب .. فليكن

هذا طريقكم الى « استغلالهن » ..

وصيتى للنساء .

* اعلمن ان الغيرة الجنسية هى من اكبر اسباب تسلط الرجال علـــى النساء .. وستظل غيرة الرجال على النساء قائمة .. ومن الخير ان تظل قائمة ، لانها هى صمام العفة ، وضمانها . والعفة أعظم مزايا النساء ، على الاطلاق .. وما جعلت قوامة الرجل على المرأة الا من أجلهـــا ، فى المكان الاول .. فكن عفيفات ، صينات ، تكن لكن القوامة على أنفسكن

* أسفرن ، ولا تبرجن .. فان التبرج دليل على خفة العقل ، ورقة الدين ، وسوء الخلق .. ولا تستحق المتبرجة ان تتمتع بحـرية السفور .. يقـــول تعـالى ، فى ذلـك : « واللاتى يأتين الفاحشة مـن نسائكم فاستشهدوا عليهن اربعة منكم .. فان شهدوا ، فأمسكوهن فى البيوت ، حتى يتوفاهن الموت ، أو يجعل الله لهن سبيلا .. » ففى هذه الآية اذن بالسفور لمن تحسن التصرف فى حرية السفور .. وفيها آذن بمصادرة حرية من تسىء التصرف فى السفور .. كأن تكـــون متبرجة بالثياب الخليعة ، أو بالمظهر الذى تستعرض به أنوثتها أمام الرجال ..

* وحين كانت ارفـع شمائل النساء العفة ، فان ارفـــع عملهن حسن التبعل .. وليس لحسن التبعل حد ينتهى عنده التجـــويد .. فلتعلم احداكن أنها فى بيتها ملكة ، وليست خادمة .. وهى لن تعطى هـــذا الحق ، وانما هى تاخذه بحسن تدبيرها لمملكتها من جميع الوجـــوه ..

* اعلمن ان جمالكن ، فى المكان الأول ، ليس فى جمال اجسامكن ، وانمـــا هو فى كمال عقولكن ، وخلقكن ، ودينكن .. فكن عوالات على هذه .. ولتطالع هذه الكمالات منكن من تلقين من الرجال مـــن الوهلة الأولى للقائكن بهم ..

* اعلمن ان كرامة احداكن بيدها .. فان هانت عليها كرامتها ، فلن تجد

مكرما ، لا من الزوج ، ولا من الأخ ، ولا من الأب .. قال شاعرهم :ـ

اذا انت لم تعرف لنفسك حقها ❋ هواناً بها كانت على الناس أهون

وقال الآخر :ـ

من يهن يسهل الهوان ❋ عليه ما لجرح بميت ايلام ..

وصيتى للرجال والنساء معا ..

❋ اعلموا ان الوحدة « الاجتماعية » ليست الفرد ، من رجل أو امرأة ، وانما هى الزوج من رجل وامرأة .. فانه لا مفاوز الحياة ، ولا مراحل السلوك ، تقطع بخير من التعاون ، والتساند ، والحب المتبادل ، بين شطرى هذه الوحدة .. وفى هذا ، فان المرأة لهى جماع آيات الآفاق للرجل .. وان الرجل لهو جماع آيات الآفاق للمرأة .. والله تعالى يقول ، فى آيات الآفاق : « سنريهم آياتنا ، فى الآفاق ، وفى انفسهم ، حتى يتبين لهم أنه الحق .. أولم يكف بربك انه على كل شىء شهيد ؟ » ..

وفى التواشج ، بين طرفى هذه الوحدة يقول تعالى : « فاستجاب لهم ربهم : انى لا أضيع عمل عامل منكم ، من ذكر أو انثى ، بعضكم من بعض » .. ويقول المعصوم : « النساء شقائق الرجال » .. فكأنه قال : ان كل شق لا يكون الوحدة وحده ، وانما بالتئامه مع شقيقه .. فليعرف كل واحد منكم لصاحبه مكانه هذا ..

وعد ..

كنا قد أخرجنا للناس فى أول هذا العام كتيبا باسم : « خطوه نحو الزواج فى الاسلام » يقترح حلا لازمة الزواج الحاضرة ، مستمداً من الشريعة الاسلامية السلفية ببعث بعض صورها المهجورة .. ولقد وعدنا يومئذ باخراج كتابنا هذا الذى بين يدى القارىء وهو « تطوير شريعة الاحوال الشخصية » وها نحن ، بفضل الله ، وبتوفيقه ، قد وفينا بهذا الوعد .. وندخل بهذا فى وعد جديد نقطعه على أنفسنا ، ونلتمس من الله العون على الوفاء به .. ذلك الوعد

هو اخراج كتيب فى حجم كتيب « خطوة نحو الزواج فى الاسلام » يكـــون اسمه : ــ « الزواج فى الأسلام » ·· تقوم مراسيمه على الشريعة المطورة ، على هدى أصول الدين ، ولن يكون ذلك الكتاب خاصا بملة دون ملة ، وانمــا سيكون صورة يتوافى عليها الرضا من جميع الملل ·· ذلك بانها حين تقوم على أصول الدين انما تقوم على المحتوى الانسانى الذى يتسامى علـــى العقيدة ، وينعقد على الاصول التى تلتقى فيها الانسانية الرفيعة ، مـــن حيث انهـــا انسانية ،بصرف النظر عن مللها ، ونحلها ، والوانها ، والسنتها ، واقاليمها ·· وتلك هى مزية الاسلام ·· ولسنا نبتغى شيئا ، فيما نأتى وما ندع ، ما نبتغى ابراز هذه المزية ·· فانه قد انى للانسانية الضاربة فى التيه ، ان تستظل بظل الاسلام الوريف ··

وعند الله نلتمس التسديد ·· وعليه التكلان ··

أمدرمان ــ السودان
ذو القعدة ١٣٩١ ــ ديسمبر ١٩٧١

هــذا الكتاب

« ان هذا الكتاب نخرجه عن تطوير شريعه الاحوال الشخصيه ، وهو كتاب جديد في بابه ، ذلك بانه يتناول الشريعة السلفية بالتطوير ، فيرتفع بها من نص كان عمدتها في القرن السابع حين نزل القران ، وشرع التشريع ، الى نص اعتبر ، يومئذ مرجئا الى وقته ، لانه اكبر من ذلك الوقت » . .

هــذا الكتاب

« قيمة التوحيد ــ كلمة « لا اله الا الله » لنا ان تحقق لنا هــذه التصفية ، والتنقيه ، فتتم وحدتنا في بيتنا بان يجيء الرجل كامل الرجوله . . وتجيء المــرأه كامله الانوثه ــ هذا هو كمال الرجال وكمال النساء ــ فاذا جاء هذا الطور مــن اطــوار نمونا فان السعادة تتحقق بالزواج بصورة هي « مالا عــين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » . .

هــذا الكتاب

« غاروا على النساء ، ولا تكن مصدر غيرتكم الشعور بالأمتلاك ، كما هي الحاله الحاضره . . ولكن غاروا على الطهر ، وعلى العفة ، وعلى التصون ، لدى جميع النساء . . وسيكون من دوافع مثل هذه الغيرة ان تعفوا انتم انفسكم ، فانه وارد في الحديث : « عفوا تعف نساؤكم . . »

هــذا الكتاب

اعلمن ان جمالكن ، في المكان الأول ، ليس في جمال اجسامكن ، وانما هو في كمال عقولكن وخلقكن ، ودينكن . . فكن عوالات على هذه . . »

« اعلمن ان كرامة احداكن بيدها . . فان هانت عليها كرامتها ، فلن تجــد مكرما ، لا من الزوج ولا من الأخ ، ولا من الاب » . .

السودان ــ امدرمان ص . ب ١١٥١

الثمن ٣٠ قرش